مسائل مهمة

في

دفع التعارض عما جاء في الكتاب والسنة

تأليف

نافع بن ثابت الصحفي

ⓒ نافع ثابت عابد الصحفي، ١٤١٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الصحفي، نافع بن ثابت

مسائل مهمة في دفع التعارض عما جاء في الكتاب والسنة

... ص، .. سم

ردمك ٧-٩٣٦-٢٧-٩٩٦٠

١- الإسلام دفع المطاعن ٢- الحديث دفع المطاعن

أ- العنوان

ديوي ٢١٦ ١٦/٠٥٠٧

رقم الإيداع: ١٦/٠٥٠٧

ردمك: ٧-٩٣٦-٢٧-٩٩٦٠

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾.

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساءً، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبًا﴾. [النساء: ١]

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولًا سديدًا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا﴾. [الأحزاب: ٧٠، ٧١]

أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

هذه مسائل مهمة جمعتها لك عزيزي القارئ من الكتاب والسنة اعتمدت في التوفيق والجمع بين طرفيها بعد الله عز وجل على جهابذة العلماء الذين لنا في هذه الدنيا ضياء أمثال ابن تيمية في كتابه «مجموع الفتاوى» وابن قيم الجوزية في كتابه «الفوائد» والشيخ ابن عثيمين في كتابه «المجموع الثمين» و كتابه «الشرح الممتع على زاد المستقنع» وعلى كتب التفسير مثل «تفسير ابن كثير» و«أضواء البيان» لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي وكتب شرح الحديث مثل «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» و«شرح مسلم» للنووي وغيرها من المراجع المهمة لكل صاحب همة. إن طريق البحث عن هذه المسائل صعب وصعب جدًا إلا أن متعة القراءة تسهل الصعب حيث لا تجد أيها القارئ

الكريم كتابًا يجمع مثل هذه المسائل، ولا يمكن قصدها في حد ذاتها في أي كتاب كان بل يمكن أن تجد مسألة في نصف ساعة أثناء القراءة الحرة، وقد يطول بك الزمن وتأخذ شهرًا كاملًا فلا تجد ضالتك فهي مبعثرة في أمهات الكتب تارة، وفي الكتيبات الصغيرة تارة أخرى فلا تعلم أين تجدها، ولا طريق للحصول على مثلها إلا عن طريق القراءة في أكثر من كتاب والبحث عنها في كل باب، ومع هذا كله لا تجدها إلا عن طريق الصدفة لا القصد. فأخذت أسلك هذا الطريق «طريق القراءة» والقراءة فقط، فكلما وجدت مسألة أخذتها ثم جمعتها إلى أختها آخذًا في الاعتبار المصدر والتوثيق للآية والحديث.

فجمعت مسائل تحت باب واحد وقاعدة واحدة والتي تقول: إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، أي بعض هذه المسائل إذا جاءت مطلقة اشتملت على غيرها وإذا جاءت مجتمعة افترقت في المعنى والدلالة مثل: الإسلام والإيمان - والقضاء والقدر - والفقير والمسكين - والكفر والنفاق - ومسائل أخرى مثل الجمع والتوفيق بين حديث وحديث أو آية وآية أو حديث وآية، وهذه مسائل لا يمكن لكاتب أن يقول: قد وصلت إلى جمعها جميعًا، فالباب في مثل هذه المسائل مفتوح، إلا أن مبلغ علمي بهذه المسائل وصل إلى الثلاثين مسألة، هذا ما أعلم وما أجهل أكثر.

ولكنني أعد القارئ الكريم بأنني سوف أواصل البحث والتنقيب وأجمع ما أمكني اللَّه من جمعه في كتاب آخر إن شاء اللَّه.

المؤلف

نافع ثابت الصحفي

* * *

المسألة المهمة الأولى

كيف يمكن الجمع بين حديث جبريل الذي فسر فيه النبي ﷺ الإسلام بأن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان .. إلخ رواه مسلم، وحديث وفد عبد القيس الذي فسر فيه النبي ﷺ الإيمان بأن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة .. إلخ الحديث؟ .

الحديث الأول في المسألة هو طرف من الحديث التالي : حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه أن جبريل سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان فقال له النبي ﷺ : « **الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت** » ، وقال : « **الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره** »[1] .

والحديث الثاني هو طرف من الحديث التالي وقوله لوفد عبد القيس : « **آمركم بالإيمان بالله وحده أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم** »[2] .

أولًا : اعلم أخي في الله أنه لا تعارض بين حديث وحديث أو آية وآية أو آية وحديث ، وإن تعارضت في نظرك فهي ليست متعارضة في الحقيقة ولكن لقلة فهمنا للنصوص ودلالتها جعلنا نصدر مثل هذا الحكم ونسأل مثل هذه الأسئلة لإزالة الشبهة والالتباس . إننا إذا علمنا الناسخ والمنسوخ والأحاديث الضعيفة والموضوعة فلا إشكال علينا بعد ذلك .

ومسألة الإيمان والإسلام هي من مسائل عدة مشابهة سوف نناقشها إن شاء الله .

أخي القارئ : ألم تقرأ نصوصًا من الكتاب والسنة جاء فيها لفظ الإسلام أو المسلم منفردًا ، وأيضًا نصوص أخرى من الكتاب والسنة جاء فيها لفظ الإيمان أو المؤمن منفردًا ، وأيضًا نصوص من الكتاب والسنة جاء فيها الإسلام والإيمان مقترنين؟ فما سر ذلك ؟ وهل

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري .

لكل معنى أو مدلول؟ تعال معنا لنورد لك بعض النصوص التي ذكر فيها الإسلام أو المسلم منفردًا من الكتاب والسنة، وسوف نوضح لك مدلول ذلك الانفراد، وهل هذا يعارض الإيمان أو يوافقه. اقرأ إن شئت من الكتاب قول اللَّه تعالى: ﴿**ورضيت لكم الإسلام دينًا**﴾ [1] وقوله: ﴿**فمن يرد اللَّه أن يهديه يشرح صدره للإسلام**﴾ [2]، وقال إبراهيم وإسماعيل: ﴿**ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك**﴾ [3] وقال يوسف: ﴿**توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين**﴾ [4] وقال تعالى: ﴿**ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن اللَّه اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾ [5] وقوله: ﴿**وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا**﴾ [6] وقال في موضع آخر موضع الإيمان: ﴿**قولوا آمنا باللَّه وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق**﴾ إلى قوله: ﴿**فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا**﴾ [7]، فحكم اللَّه أن من أسلم فقد اهتدى ومن آمن فقد اهتدى فسوّى بينهما [8].

هذه أدلة من الكتاب فماذا تقول السنة؟ ومن تتبع سنة الرسول ﷺ يجد أن الرسول ﷺ يأتي في حديثه مرة بلفظ مسلم ومرة بلفظ مؤمن، قال رسول اللَّه ﷺ «**المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام..**» إلخ [9] قال رسول اللَّه ﷺ: «**حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنازة..**» إلخ [10]. ولمسلم: «**حق المسلم على المسلم ست ...**» إلخ. وقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تقاطعوا ولا تدابروا**» إلى أن قال: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام**» [11].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يموت رجل مسلم إلا أدخل اللَّه مكانه النار يهوديًّا أو نصرانيًّا..**» إلخ [12].

---

(١) المائدة: ٣.
(٢) الأنعام: ١٢٥.
(٣) البقرة: ١٢٨.
(٤) يوسف: ١٠١.
(٥) البقرة: ١٣٢.
(٦) آل عمران: ٢٠.
(٧) البقرة: ١٣٦، ١٣٧.
(٨) الفتاوى لابن تيمية ٢٢/٧ - ٢٧.
(٩) رواه البخاري.
(١٠) أخرجه البخاري ومسلم.
(١١) رواه البخاري.
(١٢) رواه مسلم.

قال الرسول ﷺ : « **لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم ..**» [1] وفي رواية : « **فيلج النار إلا تحلة القسم** » [1] وقال ﷺ : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** » [2] وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال : « **إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار** » [3] .

أخي القارئ فلعلك تتبعت معنا الآيات والأحاديث التي ذكرت ، فهل وجدت آية قد اقترن فيها الإسلام بالإيمان أو المسلم والمؤمن . فماذا يعني ذلك ؟ نقول لك : إن الإسلام وهذه الحالة يشتمل على الإيمان ضمنًا . والآن تعال معنا إلى النصوص التي ذكر فيها الإيمان منفردًا أو المؤمن منفردًا . قال تعالى : ﴿ **وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ [4] وقوله : ﴿ **وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقًا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل** ﴾ [5] وقوله : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ [6] وقوله : ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسًا إلا وسعها ، أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون** ﴾ [7] .

هذا من الكتاب فماذا تقول السنة ؟ قال الرسول ﷺ :« **لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام** » أخرجه مسلم ، وقال ﷺ : « **المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ..**» إلخ [8] وقال عليه الصلاة والسلام : « **لعن المؤمن كقتله ومن رمى مؤمنًا بكفر فهو كقتله ، ومن رمى نفسه بشيء ذبح به يوم القيامة** » [9] . وقال : « **تابعوا بين الحج والعمرة** » إلى أن قال : « **وما من مؤمن يظل يومًا محرمًا إلا غابت الشمس بذنوبه** » [10] .

وقال : « **ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة ، اقرءوا إن شئتم**

---

(١) أخرجه البخاري . (٢) رواه البخاري . (٣) رواه البخاري ومسلم .
(٤) التوبة : ٧٢ . (٥) البقرة : ٢٥ . (٦) البقرة : ٢٧٧ .
(٧) الاعراف : ٤٢ . (٨) أخرجه مسلم . (٩) رواه البخاري .
(١٠) أخرجه الترمذي .

﴿ **النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾[1] »[2]. لعلك تتبعت معنا الآيات والأحاديث السابقة والتي لم يذكر فيها لفظ الإسلام، إذن الإيمان هنا يشتمل على الإسلام أيضًا فهما أي الإسلام والإيمان إذا افترقا اجتمعا في المعنى والدلالة. أما إذا أقرن الإسلام بالإيمان في آية أو حديث افترقا في المعنى، ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة وفسر الإيمان بالأعمال الباطنة. وإليك الأدلة مع البيان.

الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة: من الكتاب قال تعالى: ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم** ﴾[3] وقوله في قصة لوط: ﴿ **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين** ﴾[4] فإنه فرق بين المؤمنين والمسلمين لأن البيت الذي كان في القرية غير بيت من المسلمين بيت إسلامي في الظاهر إذ إنه يشمل امرأة لوط التي خانته بالكفر أما من أخرج منها ونجا فإنهم المؤمنون حقًّا الذين دخل الإيمان في قلوبهم، هذا دليل الفرق بين الإيمان والإسلام إذا اجتمعا من الكتاب، وإليك الدليل من السنة حديث عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه وفيه أن جبريل سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان فقال له النبي: « **الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت** » وقال: « **الإيمان أن تؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره** » إذًا الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا في المسمى، فقد فرق النبي ﷺ في حديث جبريل عليه السلام بين مسمى الإسلام ومسمى الإيمان فقال: « **الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه ...** » إلخ وقال: « **الإيمان أن تؤمن باللَّه وملائكته ورسله ...** » إلخ. وبعد أن تعرفنا على الإسلام والإيمان مقترنين ومنفردين خرجنا بالنتيجة التالية: أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

وهنا نأتي للإجابة على المسألة المطروحة بعد النتيجة التي خرجنا بها من البحث في الإسلام والإيمان وهي:

---

(١) الأحزاب: ٦.
(٢) أخرجه البخاري ومسلم.
(٣) الحجرات: ١٤.
(٤) الذاريات: ٣٥، ٣٦.

أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا ففي حديث جبريل عليه السلام جاء الإسلام والإيمان مجتمعين أو مقترنين، إذن وهذه الحالة فمسمى الإسلام يختلف عن مسمى الإيمان أما في حديث عبد القيس فقد جاء الإيمان منفردًا أي لم يكن مقترنًا بالإسلام ففي هذه الحالة يشتمل الإيمان على الإسلام تطبيقًا للقاعدة التي تقول: إذا افترقا اجتمعا وقال الشيخ ابن عثيمين في كتابه «المجموع الثمين» الجزء الثاني صفحة ٤٥، قال: إن حديث جبريل ذكر فيه الإسلام والإيمان مقترنان أما حديث وفد عبد القيس فلم يذكر إلا قسمًا واحدًا وهو الإيمان فالإيمان عند الإطلاق يدخل فيه الإسلام لأنه لا يمكن أن يقوم بشعائر الإسلام إلا من كان مؤمنًا فإذا ذكر الإسلام وحده شمل الإيمان وإذا ذكر الإيمان وحده شمل الإسلام وإذا ذكرا جميعًا صار الإيمان يتعلق بالقلوب، والإسلام يتعلق بالجوارح، وهذه فائدة مهمة لطالب العلم. فالإسلام إذا ذكر وحده دخل فيه الإيمان، قال الله تعالى: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾[1]، وإذا ذكرا جميعًا صار الإيمان ما يتعلق بالقلوب، والإسلام ما يتعلق بالجوارح، ولهذا قال بعض السلف (الإسلام علانية والإيمان سر) لأنه في القلب، ولذلك ربما نجد منافقًا يصلي ويتصدق ويصوم فهذا مسلم ظاهرًا غير مؤمن كما قال الله تعالى: ﴿**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين**﴾[2].

* * *

المسألة الثانية

هل القدر هو القضاء أم القضاء هو القدر أم بينهما فرق؟!

إن مسألة القضاء والقدر كم خاض فيها الخائضون ونجا منها من نجا وهلك فيها من هلك. وهي قضية ألفت فيها المؤلفات بالبسط تارة وبالاختصار تارة أخرى إلا أن بحثنا هذا يتناول جزئية بسيطة من القضاء والقدر وهي المسألة السابقة لأن هذا متمشي مع منهجنا في البحث، لو نظرنا إلى قراء اليوم وكتابهم لوجدنا الكثير منهم لا يحب الخوض في مسألة

---

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) البقرة: ٨.

القضاء والقدر وبعضهم قال : لا يجوز الخوض فيه ، وهذا خطأ لأن القضاء والقدر مسألة تخص عقيدتنا فكيف نأخذها دون فهمها ، لذا يجب علينا أن نخوض بحارها ونعلم أسرارها ونجعل غيرنا من التائهين يسيرون على نور بدلًا من سيرهم على طريق لا يبصرون ما فيه . يقول الشيخ ابن عثيمين في كتابه « المجموع الثمين » الجزء الأول صفحة ١٥٢، يقول : إن هذه المسألة أي مسألة القضاء والقدر كغيرها من المسائل المهمة التي لا بد للإنسان منها في دينه ودنياه ، لا بد أن يخوض غمارها وأن يستعين باللّه تبارك وتعالى على تحقيقها ومعرفتها ، ويقول الشيخ : مع الأسف الشديد أن بعض الناس يرجحون جانب « كيف » على جانب « لِمَ » والإنسان مسئول عن عمله بأداتين من أدوات الاستفهام « لم » و« كيف » فلم عملت كذا ؟ هذا الإخلاص . كيف عملت كذا ؟ هذه المتابعة للرسول ﷺ وأكثر الناس الآن مشغولون بتحقيق جواب كيف ، غافلون عن تحقيق جواب لم ، لهذا يجب تحقيق الجواب على الأمرين جواب لم وجواب كيف انتهى .

عزيزي القارئ : إننا لا نحب أن نزج بك في مسألة ألف فيها العلماء الكثير من المؤلفات تحقيقًا لهذا الجانب من العقيدة وهو القضاء والقدر وردًّا على الفرق الضالة أمثال القدرية والجبرية وإنما هدفنا في بحثنا هذا هو التسهيل على القارئ في هذه المسألة أعني مسألة القضاء والقدر والتي مع الأسف حار فيها الكثيرون ، وقد لا أكون مبالغًا إذا قلت معظمهم من المثقفين ، فقد سئلت مرة من طالب جامعي يقول لي : لم أصلي وأنا مكتوب عليَّ منذ كنت في بطن أمي شقي أم سعيد ؟ فقلت له : ألم تكن طالبًا جامعيًّا ؟ وتذهب إلى الجامعة كل يوم ؟ قال : بلى قلت له : ألم تسهر الليالي والأيام في الدراسة والتحصيل ؟ قال : بلى قلت له : لم كل هذا العناء ؟ قال : طلبًا في النجاح والتفوق ، قلت له : وهل علمت أنك ستنجح ؟ قال : لا ، قلت له : ألا تتوقع الرسوب ؟ قال : لا ، قلت له : ولماذا ؟ قال : لأني ما رسبت في حياتي ، قلت له : ولماذا ؟ قال : لأني مجتهد وأسهر الليالي والأيام في ذلك وأنجح كل عام بتفوق ، قلت : لكنك لا تنس تعطل الأسباب ، أسباب النجاح من صحة وجد واجتهاد ، فقد تمرض أو يأتي عليك حادث لا قدر اللّه ثم تتأخر في مادة أو مادتين فترسب ، قال : نعم لأن هذا بيد اللّه عز وجل فهو الذي يعلم الغيب ، قلت له : إذن هذا النجاح والتفوق ما هو إلا نتيجة للعمل ، قال : نعم ، قلت : ما رأيك في زميل من زملائك

لا يدرس ولا يحضر إلى الجامعة هل ينجح؟ قال: لا قلت له: لماذا؟ قال: لأنه لم يقدم مسببات النجاح فقلت: سبحان اللّه أتؤمن بالعمل في أمور دنياك ولا تؤمن به في أمور أخراك، أنت نفسك لم تعلم أنك سوف تنجح لأن هذا في علم الغيب وأراك تجد وتجتهد طلبًا للنجاح.

أخي في اللّه هل تعلم أنك شقي أم سعيد، قال: لا، قلت له: فلم إذن لا تعمل؟ واللّه سبحانه وتعالى يقول: ﴿**فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى**﴾[1] وانصرف وهو مطمئن بعد أن زالت عن قلبه الغمة وانكشف الهم.

القضاء والقدر لغة واصطلاحًا:

القدر في اللغة (القضاء والحكم ومبلغ الشيء، والتقدير التروِّي والتفكر في تسوية الأمر)[2].

والقدر في الاصطلاح: (ما سبق به العلم، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد وأنه - عز وجلَّ - قدَّر مقادير الخلائق، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها)[3].

القضاء: الفصل والحكم. وقد تكرر في أحاديث الرسول ﷺ ذكر القضاء، وأصله القطع والفصل. يقال: قضى يقضي قضاءً فهو قاض إذا حكم وفصل، وقضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه، فيكون بمعنى الخلق. (وقال الزهري: القضاء في اللغة على وجوه، مرجعها إلى انقضاء الشيء وتمامه وكل ما أحكم عمله، أو أتم، أو أدي، أو أوجب، أو علم، أو نفذ، أو أمضي، فقد قضي، وقد جاءت هذه الوجوه كلها في الأحاديث)[4].

---

(١) الليل: ٥ - ١٠.
(٢) «القاموس المحيط» للفيروزآبادي: ٥٩١.
(٣) «عقيدة السفاريني»: ٣٤٨/١.
(٤) «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير ٧٨/٤.

قال الدكتور عمر سليمان الأشقر في كتاب « القضاء والقدر » صفحة ٢٧ و ٢٨، قال : وللعلماء في التفرقة بين القضاء والقدر قولان : الأول : القضاء هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل ، والقدر وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق . يقول ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى : (قال العلماء : القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل ، والقدر جزيئات ذلك الحكم وتفاصيله) . وقال في موضع آخر : (القضاء الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل ، والقدر الحكم بوقوع الجزيئات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل) . الثاني : عكس القول السابق فالقدر هو الحكم السابق ، والقضاء هو الخلق . قال الخطابي في « معالم السنن » : (القدر اسم لما صار مقدَّرًا عن فعل القادر ، كالهدم والنشر والقبض : كما صدر من فعل الهادم والناشر والقابض) (والقضاء والقدر بناءً على هذا القول أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر ، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر ، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء ، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه)[1] .

وبعد أن عرفنا الفرق بين القضاء والقدر عند الأشقر تعال معنا لنعرف الفرق بين القدر والقضاء عند الشيخ الطنطاوي في كتابه « تعريف عام بدين الإسلام » - لكنه وإن وجد لا يعني ذلك الانفصال التام - يقول الشيخ[2] : (وأنا أوضح الفرق بين القضاء والقدر بمثال « ولله المثل الأعلى » العمارات التي تقام تعلق عليها لوحة فيها : إن التصميم للمهندس الفلاني والتنفيذ للمقاول الفلاني ، فالمهندس يرسم الخريطة ويعين علو البناء وسمك الجدران ، وما يوضع فيها من الحديد والإسمنت والحجر وبنية كل منها وما يكون فيها من أبواب ونوافذ ، يقدر ذلك ويحدده) هذا مثال القدر (والمقاول ينفذ ما قدره المهندس) وهذا مثال القضاء . وكلاهما لله وحده ، وكما يمكن للمنهدس أن يبدل إذا أراد في بعض تفصيلات التصميم ، فالله من رحمته جعل الدعاء والصدقة سببًا في رفع بعض ما كان مقدَّرًا ، قدرها الله وحده ، ورفعها بالدعاء وحده .

(١) « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير ٤/ ٧٨، وانظر « جامع الأصول » : ١٠/ ١٠٤ لابن الأثير الجزري .

(٢) « تعريف عام بدين الإسلام » : ١٢٨ ، ١٢٩ للشيخ الطنطاوي .

الثـواب والعقـاب:

هذا معنى القدر بوجه عام، وهو يشمل كل موجود أوجده اللّه، قدر اللّه مقاديره وأحواله وعلم ما سيكون له وما يكون منه، ومن جملة مخلوقات اللّه الإنسان، هنا تعترض مشكلة طالما خاض فيها الخائضون، وطالما كثر فيها الجدال، هي أمر الثواب والعقاب. إذا كان كل ما يقع في الكون مرسومًا ومعلومًا عند اللّه من قبل، وكانت سنن اللّه لا تبديل لها ولا تغيير، فكيف يكون الثواب والعقاب؟ والجواب الإجمالي أنه لا بد من التفريق بين وضع الإنسان والمشاهد الملموس، وبين صفات اللّه وأعماله، وهي مغيبة لا يستطيع العقل أن يحكم عليها، ولا يصل إلى إدراكها، ولا يعرف عنها إلا ما جاء بطريق الوحي.

الإنسان مخير: والواقع أن الإنسان له حرية، له (عقل) يستطيع أن يحكم به على الأمور المادية، ويميز به بين الخير والشر، والصلاح والفساد، وله إرادة يستطيع أن يعمل بها الخير أو أن يعمل الشر. كل إنسان عاقل يدرك أن الصلاة خير وأن الزنا شر، ويقدر إذا يخرج من داره أن يمشي من جهة اليمين إلى المسجد فيصلي أو يمشي من جهة الشمال إلى الماخور فيزني، هل يشك أحد في هذا؟ وإذا كانت يدي سليمة ما بها مرض أو شلل فأنا أستطيع أن أرفعها، فهل في الناس من يدعي أنني لا أستطيع رفع يدي؟ وإذا كنت قادرًا على رفع يدي رفعتها لأعطي فقيرًا دينارًا، أو رفعتها لأضرب بريئًا بالعصا، فهل هذا كذلك؟ أليس إعطاء الفقير حسنة تستحق الثواب وضرب البريء سيئة تستوجب العقاب. التلميذ يستطيع أن يمضي ليالي الامتحان باللهو واللعب ويستطيع أن يشغلها بالجد والدرس، أليس هذا صحيحًا؟ فهل يدعي أحد أن سقوط اللاعب كان ظلمًا، أو أن نجاح المجتهد كان محاباة؟.

والإنسان مجبر: لقد استطعت أن أحرك يدي بإرادتي لأن اللّه جعل عضلاتها خاضعة لي، ولكني لا أستطيع التحكم في عضلات قلبي ومعدتي، وهذا التلميذ قد يكون ذكيًا يدرس الدرس مرة فيحفظه ثم يلهو ويتسلى، وقد يكون غبيًا يدرس الليل والنهار، فلا يفهم ولا يحفظ. وقد يكون بيته هادئًا وأبوه عالمًا ييسر له أمر الدرس، وقد يكون بيته صاخبًا وأبوه جاهلًا فلا يستطيع أن يدرس. فهو لا يملك منح نفسه الذكاء، ولا يملك اختيار أبويه، ولا انتخاب الزمان الصالح ليوجد فيه، ولا البيئة الصالحة ليمضي فيها طفولته هذه

كلها أمور لا يملكها الإنسان ، كما لا يملك أن يجعل أنفه أجمل ولا قامته أطول ، فهو من هذه الناحية مجبر .

وبعد أن تعرفنا على معنى القضاء والقدر لغة واصطلاحًا وتعرفنا أيضًا على الفرق بينهما عند العلماء ، إلا أنه ومع ذلك قد يرد اشتباه على القارئ عندما يقرأ أو يسمع آية أو حديثًا بهما لفظة القدر مفردة ، وآية أو حديثًا بها لفظة القضاء أيضًا مفردة . فهو يسأل نفسه بعد ذلك هل القدر هو القضاء أم القضاء هو القدر ؟ وإليك الآيات التي ذكر فيها القدر مفردًا ، قال تعالى : ﴿ **إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ (١) وقوله : ﴿ **وكان أمر اللَّه قدرًا مقدورًا** ﴾ (٢) . أما في السنة ، ففي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب في سؤال جبريل عليه السلام الرسول ﷺ قال : « **أن تؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله ، وتؤمن بالقدر خيره وشره** ، - قال - أي جبريل - : **صدقت** » (٣) وروى مسلم في صحيحه عن طاوس قال : (أدركت ناسًا من أصحاب رسول اللَّه ﷺ يقول : كل شيء بقدر قال : وسمعت عبد اللَّه بن عمر يقول : كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز) (٤) فهل ذكر القضاء فيما سبق ؟ ، وإليك الآن بعض الآيات التي ذكر فيها لفظ القضاء منفردًا ، قال تعالى : ﴿ **ولكن ليقضي اللَّه أمرًا كان مفعولًا** ﴾ (٥) وقوله : ﴿ **قضي الأمر** ﴾ (٦) وقوله : ﴿ **اللَّه يقضي بالحق** ﴾ (٧) ، أما من السنة فقول الرسول ﷺ : « **لا يرد القضاء إلا الدعاء** » أخرجه الترمذي . فهل ذكر القدر هنا ؟ طبعًا لا - فماذا يعني ذلك ؟ ، وبعد هذا كله أظنك الآن تود أن تعرف الإجابة على المسألة والتي هي موضوع هذا البحث (هل القدر هو القضاء أم بينهما فرق ؟) .

يقول الشيخ ابن عثيمين : القضاء إذا أطلق شمل القدر ، والقدر إذا أطلق شمل القضاء ، ولكن إذا قيل : القضاء والقدر صار بينهما فرق ، وهذا كثير في اللغة العربية تكون الكلمة

---

(١) القمر : ٤٩ .
(٢) الأحزاب : ٣٨ .
(٣) شرح النووي على مسلم ١٥٧/١ .
(٤) رواه مسلم ٢٠٤٥/٤ ورقمه ٢٦٥٥ .
(٥) الأنفال : ٤٢ .
(٦) يوسف : ٤١ .
(٧) غافر : ٢٠ .

لها معنى شامل عند الانفراد ومعنى خاص عند الاجتماع ويقال في مثل ذلك إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا فالقضاء والقدر الصحيح أنهما من هذا النوع يعني أن القضاء إذا أفرد شمل القدر، والقدر إذا أفرد شمل القضاء، لكن إذا اجتمعا فالقضاء ما يقضيه اللّه في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير، والقدر ما قدره اللّه تعالى في الأزل. هذا هو الفرق بينهما فيكون القدر سابقًا والقضاء لاحقًا.

* * *

المسألة الثالثة

كيف يمكن الجمع بين قوله ﷺ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء»[1] والحديث الذي في الصحيحين عن ابن مسعود رضي اللّه عنه قال: حدثنا رسول اللّه ﷺ وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال: اكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد»[2] ؟.

يقول ابن قيم الجوزية في كتابه «الجواب الكافي» صفحة ٢٦ هل يرفع الدعاء المقدر؟ قالت طائفة: إن المدعو به إن كان قدر لم يكن بد من وقوعه، دعا به العبد أو لم يدع، وإذا لم يكن قد قدر لم يقع، سواء سأله العبد أم لم يسأله. فظنت طائفة ثانية صحة هذا القول، فتركت الدعاء وقالت: لا فائدة فيه. وهؤلاء، مع فرط جهلهم وضلالهم متناقضون، فإن طرد[3] مذهبهم يوجب تعطيل جميع الأسباب، فيقال لأحدهم: إن كان الشبع والري قد قدرا لك فلا بد من وقوعهما، أكلت أو لم تأكل. وإن لم يقدرا لم يقعا أكلت أو لم تأكل. وإن كان الولد قد قدر لك فلا بد منه، وطئت الزوجة أو الأمة أو لم تطأ. وإن لم يقدر ذلك لم يكن، فلا حاجة إلى التزوج والتسري. وهلم جرا. فهل يقول هذا عاقل أو آدمي؟ بل الحيوان البهيم مفطور على مباشرة الأسباب التي بها قوامه وحياته، فالحيوانات أعقل وأفهم من هؤلاء الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلًا. وتكايس[4] بعضهم

(١) أخرجه الترمذي.
(٢) أخرجه البخاري ومسلم.
(٣) طرد: أي: متابعة.
(٤) تكايس: أي: ادعى الذكاء والفطنة.

وقال : الاشتغال بالدعاء من باب التعبد المحض يثيب اللَّه عليه الداعي ، من غير أن يكون له تأثير في المطلوب بوجه ما ، ولا فرق عند هذا المتكيس بين الدعاء وبين الإمساك عنه بالقلب واللسان في التأثير في حصول المطلوب . وارتباط الدعاء عندهم به كارتباط السكوت ، ولا فرق . وقالت طائفة أخرى أكيس من هؤلاء : بل الدعاء علامة مجردة نصبها اللَّه سبحانه وتعالى أمارة على قضاء الحاجة ، فمتى وفق اللَّه العبد للدعاء كان ذلك علامة له وأمارة على أن حاجته قد انقضت . وهذا كما إذا رأيت غيمًا أسود باردًا في زمن الشتاء ، فإن ذلك دليل وعلامة على أنه يمطر . قالوا : وهكذا حكم الطاعات مع الثواب ، والكفر والمعاصي مع العقاب ، هي أمارات محضة لوقوع الثواب والعقاب ، لا أنها أسباب له . وهكذا عندهم الكسر مع الانكسار و والحرق مع الإحراق ، والإزهاق مع القتل ، ليس شيء من ذلك سببًا البتة ، ولا ارتباط بينه وبين ما يترتب عليه إلا مجرد الاقتران العادي ، لا التأثير السببي وخالفوا بذلك الحس والعقل ، والشرع والفطرة ، وسائر طوائف العقلاء . بل أضحكوا عليهم العقلاء .

والصواب هو أن هذا المقدور قدر بأسباب ، ومن أسبابه الدعاء ، فلم يقدر مجردًا عن سببه ، ولكن قدر سببه ، فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور ، ومتى لم يأت السبب انتفى المقدور . وهكذا كما قدر الشبع والري بالأكل والشرب وقدر الولد بالوطأ ، وقدر حصول الزرع بالبذر ، وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه ، وكذلك قدر دخول الجنة بالأعمال ، ودخول النار بالأعمال ، وهذا القسم هو الحق ، وهذا الذي حرمه السائل ولم يوفق له . وحينئذ فالدعاء من أقوى الأسباب ، فإذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال : لا فائدة في الدعاء ، كما لا يقال : لا فائدة في الأكل والشرب وجميع الحركات والأعمال . وليس شيء من الأسباب أنفع من الدعاء ، ولا أبلغ في حصول المطلوب .

ولما كان الصحابة رضي اللَّه عنهم أعلم الأمة باللَّه ورسوله ﷺ وأفقههم في دينه كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وأدبه من غيرهم ، وكان عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه يستنصر به على عدوه . وكان أعظم جندية . وكان يقول لأصحابه : (لستم تنصرون بكثرة ، وإنما تنصرون من السماء) ، وكان يقول : إني لا أحمل هم الإجابة معه ، ولكن هم الدعاء فإذا ألهمتم الدعاء فإن الإجابة معه . فمن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة ، فإن اللَّه سبحانه

يقول : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾ [1] ، وقال : ﴿ **وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان** ﴾ [2] . وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة قال رسول اللَّه ﷺ : « **من لم يسأل اللَّه يغضب عليه** » وهذا يدل على أن رضاه في سؤاله وطاعته ، وإذا رضي الرب تبارك وتعالى فكل خير في رضاه ، كما أن كل بلاء ومصيبة في غضبه .

وقد دل العقل والنقل والفطرة وتجارب الأمم على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها على أن التقرب إلى رب العالمين ، وطلب مرضاته ، والبر والإحسان إلى خلقه من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر ، فما استجلبت نعم اللَّه تعالى واستدفعت نقمه بمثل طاعته ، والتقرب إليه ، والإحسان إلى خلقه . وقد رتب اللَّه سبحانه حصول الخيرات في الدنيا والآخرة وحصول الشرور في الدنيا والآخرة في كتابه على الأعمال ، ترتب الجزاء على الشرط ، والمعلول على العلة ، والمسبب على السبب ، وهذا في القرآن يزيد على ألف موضع ، فتارة يرتب الحكم الخبري الكوني والأمر الشرعي على الوصف المناسب له كقوله تعالى : ﴿ **فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين** ﴾ [3] وقوله : ﴿ **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا** ﴾ [4] وقوله : ﴿ **إن تتقوا اللَّه يجعل لكم فرقانًا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم** ﴾ [5] وقوله تعالى : ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين** ﴾ [6] . وقال الشيخ ابن تيمية في هذه المسألة في كتابه القدر ١٣٨/٨ - ١٤٠ وفي السنن أنه قيل : يا رسول اللَّه أرأيت أدوية نتداوى بها ورقى نسترقي بها ، وتقاة نتقيها : هل ترد من قدر اللَّه شيئًا ؟ فقال : « **هي من قدر اللَّه** » والدعاء أيضًا من قدر اللَّه . واللَّه سبحانه خلق الأسباب والمسببات وجعل هذا سببًا لهذا ، فإذا قال القائل : إن كان هذا مقدرًا حصل بدون السبب وإلا لم يحصل : جوابه أنه مقدر بالسبب وليس مقدرًا بدون السبب . كما قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن اللَّه خلق للجنة أهلًا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم ، وخلق للنار أهلًا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم** » [7] وقال ﷺ : « **اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما من كان من أهل**

---

(١) غافر : ٦٠ .
(٢) البقرة : ١٨٦ .
(٣) الأعراف : ١٦٦ .
(٤) المائدة : ٣٨ .
(٥) الأنفال : ٢٩ .
(٦) التوبة : ١١ .
(٧) أخرجه مسلم .

السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة»[1]. قال تعالى: ﴿**فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى**﴾[2].

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: حدثنا رسول اللَّه ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال اكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح**. قال: **فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»[3].

فبين ﷺ أن هذا يدخل الجنة بالعمل الذي يعمله ويختم له به، وهذا يدخل النار بالعمل الذي يعمله ويختم له به كما قال ﷺ: «**إنما الأعمال بالخواتيم**»[4]، وذلك لأن جميع الحسنات تحبط بالردة وجميع السيئات تغفر بالتوبة، ونظير ذلك من صام ثم أفطر قبل الغروب أو صلى وأحدث عمدًا قبل كمال الصلاة بطل عمله. ويقول الشيخ ابن عثيمين في هذا الباب في كتابه «المجموع الثمين» (١/ ١٥٧): الدعاء من الأسباب التي يحصل بها المدعو وهو في الواقع يرد القضاء ولا يرد القضاءُ يعني له جهتان فمثلًا هذا المريض قد يدعو اللَّه تعالى بالشفاء فيشفى، فهنا لولا هذا الدعاء لبقي مريضًا، لكن بالدعاء شفي، إلا أننا نقول: إن اللَّه سبحانه وتعالى قد قضى بأن هذا المرض يشفى منه المريض بواسطة الدعاء، فهذا هو المكتوب فصار الدعاء يرد القدر ظاهريًا حيث إن الإنسان يظن أنه لولا الدعاء لبقي المرض، ولكنه في الحقيقة لا يرد القضاء لأن الأصل أن الدعاء مكتوب وأن الشفاء سيكون بهذا الدعاء، هذا هو القدر الأصلي الذي كتب في الأزل وهكذا كل شيء مقرون بسبب فإن هذا السبب جعله اللَّه تعالى سببًا يحصل به الشيء، وقد كتب ذلك في الأزل من قبل أن يحدث.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) الليل: ٥ - ١٠.
(٣) أخرجه البخاري ومسلم.
(٤) رواه البخاري ومسلم.

قال الشيخ الطنطاوي في كتابه «تعريف عام بدين الإسلام» صفحة ١٢٨ : لو كان كل ما يفعل العبد مجبرًا عليه من الأزل، لا يبدل ولا يعدل، وليس له اختيار فيه، لم يبق من فائدة لبعثة الأنبياء، وجهاد الكفار، ولا الدعاء. وقد دعا الأنبياء والخلفاء الراشدون وصلحاء كل أمة طالبين دفع الشر وجلب الخير. اهـ، ثم اعلم أخي القارئ أنه (إذا جرى على العبد مقدور يكرهه فله فيه ستة مشاهد: أحدها مشهد التوحيد وأن اللَّه هو الذي قدره وشاءه وخلقه وما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن، الثاني مشهد العدل وأنه ماض فيه حكمه عدل فيه قضاؤه، الثالث مشهد الرحمة وأن رحمته في هذا المقدور غالبة لغضبه وانتقامه، الرابع مشهد الحكمة وأن حكمته سبحانه اقتضت ذلك، لم يقدره سدى ولا قضاه عبثًا، الخامس مشهد الحمد وأن له سبحانه الحمد التام على ذلك من جميع وجوهه، السادس مشهد العبودية وأنه عبد محض من كل وجه تجري عليه أحكام سيده وأقضيته بحكم كونه ملكه وعبده فيصرفه تحت أحكامه القدرية كما يصرفه تحت أحكامه الدينية فهو محل لجريان هذه الأحكام عليه)[1].

وخلاصة القول في هذه المسألة أن الدعاء يرد القضاء، ولكن لا يرده إلا بإذن اللَّه، واللَّه أعلم.

ومن الطريف في هذا الباب قصة الطين:

رأى ثلاثة زنادقة شيخًا نائمًا تحت شجرة فتعاهدوا على أن يحرجوه، فاتفقوا على أن يسأله كل واحد سؤالًا يعجز الشيخ عن إجابته، ويثير الشبهة لديه، فجاءوا إليه وأيقظوه، فقال الأول: أنا لا أرى اللَّه فكيف أؤمن به؟

الثاني: كيف يكتب عليَّ اللَّه أفعالي ثم يحاسبني عليها ويعاقبني؟

الثالث: ألم يخلق الجن من نار؟ فكيف سيعذبون فيها؟

فما كان من الشيخ إلا أن ضربهم بالطين فأخذوه وشكوه للوالي.

قالوا: سألنا هذا الشيخ ثلاثة أسئلة فلم يجبنا بل ضربنا بالطين.

الوالي: لماذا ضربتهم ولم تجبهم أيها الشيخ؟

الشيخ: قد أجبتهم.. قال الأول: إنه لا يؤمن بوجود اللَّه لأنه لا يراه فضربته.

---

(١) «الفوائد» للشيخ الإمام العلامة محيي السنة وقامع البدعة ابن قيم الجوزية صفحة ٣٢.

الأول : نعم وقد آلمتني .

الشيخ : إن كنت قد آلمتك فأين ألمك ؟ فمادمت لا أراه فأنت لا تتألم .

الثاني : ولكن لم ضربتني ؟!

الشيخ : كنت تسأل كيف يحاسبك اللَّه على أمر قد كتبه عليك ، وقد كتب عليك أن أضربك فلماذا شكوتني ؟

ثم قال : سألني الثالث كيف يعذب الجن في النار وقد خلقوا من نار ؟ وقد ضربته أيضًا .

الثالث : لقد آذيتني .

الشيخ : ألست مخلوقًا من طين ؟ فكيف يؤلمك الطين ؟ وكذلك يعذب اللَّه الجان بالنار كما خلقهم من نار .

وأحب أن أختم بحثي هذا بمذهب أهل السنة والجماعة في القضاء والقدر . وسوف نكتفي بقول شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يلخص مذهبه حيث يقول : مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب ما دل عليه الكتاب والسنة ، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار .

والذين اتبعوهم بإحسان : وهو أن اللَّه خالق كل شيء ومليكه ، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد .

وأنه سبحانه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فلا يكون شيء إلا بمشيئته وقدرته ، لا يمتنع عليه شيء شاءه ، بل هو القادر على كل شيء ، ولا يشاء شيئًا إلا وهو قادر عليه . وأنه سبحانه وتعالى يعلم ما كان وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون ، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها ، وقد قدر اللَّه مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم : قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب ذلك ، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة .

(فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء ، وقدرته على كل شيء ، ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون ، وتقديره لها ، وكتابته إياها قبل أن تكون)[1] . وسلف الأمة

(١) « مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية » : ٤٤٩/٨ .

وأئمتها متفقون على أن العباد مأمورون بما أمر اللَّه به منهيون عما نهاهم اللَّه عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة. ومتفقون على أنه لا حجة لأحد على اللَّه في واجب تركه، ولا محرم فعله بل للَّه الحجة البالغة على عباده)[1]. (ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر وأن اللَّه خالق كل شيء وأنه ما شاء كان وما يشأ لم يكن، وأن اللَّه يضل من يشاء ويهدي من يشاء أن العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بقدرتهم ومشيئتهم ما أقدرهم اللَّه عليه مع قولهم: إن العباد لا يشاءون إلا أن يشاء اللَّه)[2].

* * *

المسألة الرابعة

الكفر والنفاق هل هما شيء واحد أم بينهما فرق؟

الكفر ضد الإيمان، والكافر هو الكافر باللَّه ظاهرًا وباطنًا. أما المنافق فهو الكافر بالباطن المظهر للإيمان، إلا أن الكفر والنفاق هما أيضًا من باب الإسلام والإيمان والقدر والقضاء، أعني إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، وإليك بيان ذلك وبشواهد من القرآن الكريم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الإيمان الجزء السابع من الفتاوى صفحة ٥٣، يقول: الكفر إذا ذكر مفردًا في وعيد الآخرة دخل فيه المنافقون كقوله تعالى: ﴿**ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾[3]، وقوله: ﴿**ومن يكفر باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، فقد ضل ضلالًا بعيدًا**﴾[4]، وقوله: ﴿**وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرًا، حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا: بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين، قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس**

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»: ٤٥٢/٨.

(٢) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية»: ٤٥٩/٨.

(٣) المائدة: ٥.

(٤) النساء: ١٣٦.

مثوى المتكبرين ﴾[1]، وقوله: ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا أو كذَّب بالحق لما جاءه أليس في جهنم مثوًى للكافرين ﴾[2]، وقوله: ﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ﴾[3]. فهذه كلها يدخل فيها المنافقون الذين هم في الباطن كفار ليس معهم من الإيمان شيء، كما يدخل فيها الكفار المظهرون للكفر، بل المنافقون في الدرك الأسفل من النار، وأيضًا النفاق إذا ذكر مفردًا دخل فيه الكافرون، قال تعالى: ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ﴾[4]، وقوله: ﴿ وإذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون ﴾[5]، ثم قد يقرن الكفر بالنفاق في مواضع، قال الله تعالى: ﴿ إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعًا ﴾[6]، وقال: ﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا ﴾[7]، إلى قوله: ﴿ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير ﴾[8]، وقال: ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾[9] في سورتين، وقال: ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا ﴾[10]، في هذه الآيات الكافر له معنى والمنافق له معنى، والعطف يعني المغايرة في المعنى حيث إن الكفر يعني باطنًا وظاهرًا، والنفاق يعني باطنًا لا ظاهرًا.

ومن استقرائنا للآيات القرآنية السابقة اتضح لنا أن الكفر والنفاق إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

---

(١) الزمر: ٧١.
(٢) العنكبوت: ٦٨.
(٣) البينة: ٦.
(٤) البقرة: ٨ - ١٢.
(٥) البقرة: ١٤.
(٦) النساء: ١٤٠.
(٧) الحديد: ١٣.
(٨) الحديد: ١٥.
(٩) التوبة: ٩، التحريم: ٧٣.
(١٠) الحشر: ١١.

المسألة الخامسة

المسكين والفقير، هل المسكين هو الفقير أم بينهما فرق؟

تعال معي أخي القارئ لنتعرف أولًا على معنى الفقير والمسكين. يقول محمد بن أبي بكر الرازي في «مختار الصحاح» صفحة ٥٠٨ : الفقير الذي له بلغة العيش، والمسكين الذي لا شيء له. وقال الأصمعي : المسكين أحسن حالًا من الفقير. وقال يونس : الفقير أحسن حالًا من المسكين. وقال : وقلت لأعرابي : أفقير أنت؟ فقال : لا واللّه بل مسكين، اهـ.

إلا أن الفقير والمسكين أيضًا من باب الإسلام والإيمان، والقضاء والقدر، والكفر والنفاق؛ أعني إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الإيمان الجزء السابع من «الفتاوى» صفحة ١٦٧ : إن هذه الأسماء التي تختلف دلالاتها بالإطلاق والتقييد والتجريد والاقتران تارة يكونان إذا أفرد أحدهما أعم من الآخر كاسم «الإيمان» و «المعروف» مع العمل ومع الصدق، و «كالمنكر» مع الفحشاء ومع البغي ونحو ذلك. وتارة يكونان متساويين في العموم والخصوص كلفظ «الإيمان» و «البر» و «التقوى»، ولفظ «الفقير» و «المسكين» فأيهما أطلق تناول ما يتناوله الآخر. فالأول كقوله تعالى : ﴿**وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم**﴾[1]، قوله : ﴿**وتؤتوها الفقراء**﴾ هل يعني ذلك الفقراء دون المساكين؟ بالطبع لا، والثاني كقوله تعالى : ﴿**فكفارته إطعام عشرة مساكين**﴾[2] فهل المسكين هنا لا يعني الفقير؟ طبعًا لا، والثالث كقوله تعالى : ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين**﴾[3] فالواو هنا للعطف والعطف يعني المغايرة، فالفقير هنا غير المسكين، وهذا ما يدل دلالة واضحة على أن الفقير والمسكين إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، كما ذكر عبد اللّه جار اللّه الجار اللّه في كتابه «مصارف الزكاة» صفحة ٣٩ ذكر يقول : إن من قال .... إن الفقراء والمساكين صنفان قال بخلاف ما ذهب إليه أبو يوسف من أصحاب أبي حنيفة وابن القاسم من أصحاب مالك من أنهما صنف واحد ولا فرق بين الفقير والمسكين، ومحل الخلاف إنما هو عند ذكر اللفظين معًا أو ذكر أحدهما مع نفي الآخر، أما إذا ذكر أحدهما

(١) البقرة : ٢٧١ . (٢) المائدة : ٨٩ . (٣) التوبة : ٦٠ .

مفردًا دخل فيه الآخر كما تقدم؛ لأن الفقير والمسكين مثل الإسلام والإيمان من الألفاظ التي قال العلماء فيها إذا اجتمعا افترقا - أي: كون لكل واحد منهما معنى خاص -، وإذا افترقا اجتمعا - أي إذا ذكر أحدهما مفردًا دخل فيه الآخر - وهما هنا في مصارف الزكاة قد اجتمعا، والخلاف في ذلك لا يظهر له فائدة لأنه يجوز عند الجمهور صرف الزكاة إلى صنف واحد بل إلى شخص واحد، ولكن تظهر للخلاف فائدة في الوصية للفقراء دون المساكين أو العكس، وفيمن أوصى بألف للفقراء وبمائة للمساكين مثلًا، أما إذا ذكر أحدهما ولم ينف الآخر كما إذا قال: أوصيت للفقراء بكذا، فلا خلاف في أنه يجوز أن يعطى المساكين.

* * *

المسألة السادسة

كيف يمكن الجمع بين قوله: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ...» إلخ، وقوله تعالى: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملًا﴾[1]؟

هذا الحديث هو من حديث طويل في «الصحيحين» عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: حدثنا رسول اللَّه ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيقال: اكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح، قال: فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه القدر الجزء الثامن صفحة ١٤٠ وقد سبق قول هذا ولكن ما يمنع أن نستدل به أيضًا على هذا الباب، يقول في شرحه لهذه الجزئية من

---

(١) الكهف: ٣٠.

(٢) البخاري ومسلم.

الحديث الطويل: بين ﷺ أن هذا يدخل الجنة بالعمل الذي يعمله ويختم له به، وهذا يدخل النار بالعمل الذي يعمله ويختم له به، كما قال ﷺ: «**إنما الأعمال بالخواتيم**»[1]، وذلك لأن جميع الحسنات تحبط بالردة وجميع السيئات تغفر بالتوبة، ونظير ذلك من صام ثم أفطر قبل الغروب أو صلى وأحدث عمدًا قبل كمال الصلاة بطل عمله. هذا الحديث حديث عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه يخبر فيه النبي ﷺ أن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع لقرب أجله وموته، ثم يسبق عليه الكتاب الأول الذي كُتب أنه من أهل النار فيعمل بعمل أهل النار - والعياذ باللَّه - فيدخلها، وهذا فيما يبدو للناس ويظهر كما جاء في الحديث الصحيح: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار**»[2]، نسأل اللَّه العافية، وكذلك الأمر بالنسبة للثاني يعمل الإنسان بعمل أهل النار فَيَمُنُّ اللَّه عليه تعالى بالتوبة والرجوع إلى اللَّه عند قرب أجله فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها. والآية لا تعارض الحديث لأن اللَّه تعالى قال: ﴿**أجر من أحسن عملاً**﴾ ومَنْ أحسن العمل في قلبه وظاهره فإن اللَّه تعالى لا يضيع أجره. اهـ.

وحتى يطمئن قلبك عزيزي القارئ؛ إليك هذه القصة والتي تدل على أن الظاهر لا يعبر عن الباطن غالبًا، وهي أن رسول اللَّه ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا، فلما مال النبي ﷺ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم وفي أصحاب رسول اللَّه ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها، يضربها بسيفه - فقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أما إنه من أهل النار**» - وفي رواية قالوا: أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار؟ فقال رجل من القوم: أنا صاحبه أبدًا، قال: فخرج معه كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحًا شديدًا فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: أشهد أنك رسول اللَّه قال: «**وماذا؟**» قال: الرجل الذي ذكرت آنفًا إنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك فقلت: أنا لكم به فخرجت في طلبه حتى جرح

(١) أخرجه البخاري ومسلم.
(٢) أخرجه البخاري ومسلم.

جرحًا شديدًا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة**»(١).

* * *

المسألة السابعة

كيف يمكن الجمع بين قوله تعالى: ﴿قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾(٢) إلى أن قال: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها﴾(٤) ثم قال: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾(٥)؟

أخي القارئ: بعد قراءتك لهذه الآيات هل عرفت أيهما خلق أولًا السماء أم الأرض؟

إذن تعال معنا لحل هذه المسألة.

يقول ابن كثير في «تفسيره» الجزء الرابع صفحة ٩٣، ٩٤، يقول: وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالى: ﴿**خلق السموات والأرض في ستة أيام**﴾(٦) ففصل ههنا ما يختص بالأرض ما اختص بالسماء، فذكر أنه خلق الأرض أولًا لأنها كالأساس والأصل أن يبدأ بالأساس ثم بعده السقف كما قال عز وجل: ﴿**هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات**﴾(٧) الآية، فأما قوله تعالى: ﴿**أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها، رفع سمكها فسواها، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، والأرض بعد ذلك دحاها، أخرج منها ماءها ومرعاها، والجبال أرساها، متاعًا لكم ولأنعامكم**﴾(٨)، ففي هذه الآية أن دحو الأرض كان بعد خلق السماء، فالدحو هو مفسر بقوله: ﴿**أخرج منها ماءها ومرعاها**﴾ وكان هذا بعد خلق السماء، فأما خلق الأرض فقبل خلق السماء

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم. (٢) فصلت: ٩. (٣) فصلت: ١١.
(٤) النازعات: ٢٧. (٥) النازعات: ٣٠. (٦) الحديد: ٤.
(٧) البقرة: ٢٩. (٨) النازعات: ٢٧ - ٣٣.

بالنص ، وبهذا أجاب ابن عباس رضي اللّه عنه فيما ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية من « صحيحه » قال : وقال المنهال عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس رضي اللّه عنهما : إني لأجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ ؛ منها قوله تعالى : ﴿ **أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها** – إلى قوله – **والأرض بعد ذلك دحاها** ﴾ فذكر خلق السماء قبل الأرض ثم قال تعالى : ﴿ **قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين** – إلى قوله – **طائعين** ﴾ فذكر في هذه خلق الأرض قبل خلق السماء ، فقال ابن عباس رضي اللّه عنهما : خلق اللّه الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الأرض ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين فذلك قوله تعالى : ﴿ **دحاها** ﴾ ، وقوله : ﴿ **خلق الأرض في يومين** ﴾ فخلق الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخلق السموات في يومين . قال البخاري : حدثنيه يوسف بن عدي حدثنا عبد اللّه بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال هو ابن عمرو ، الحديث .

هذا وذكر محمد الأمين الشنقيطي « أضواء البيان » صفحة ٧/ ١١٩، ١٢٠، يقول : وهذا الجمع الذي جمع به ابن عباس بين هاتين الآيتين واضح لا إشكال فيه – يعني الجمع آنف الذكر – مفهوم من ظاهر القرآن العظيم إلا أنه يَرِد عليه إشكال في قوله تعالى : ﴿ **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء** ﴾[1] . وإيضاحه أن ابن عباس جمع بأن خلق الأرض قبل خلق السماء ودحوها بما فيها بعد خلق السماء ، وفي هذه الآية التصريح بأن جميع ما في الأرض مخلوق قبل خلق السماء لأنه قال فيها : ﴿ **هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعًا ثم استوى إلى السماء** ﴾ ثم أردف قائلًا : وقد مكثت زمنًا طويلًا أفكر في حل هذا الإشكال حتى هداني اللّه إليه ذات يوم ففهمته من القرآن الكريم ، وإيضاحه : أن هذا الإشكال مرفوع من وجهين كل منهما تدل عليه آية من القرآن :

الأول : أن المراد بخلق ما في الأرض جميعًا قبل خلق السماء ، الخلق اللغوي الذي هو التقدير لا الخلق بالفعل الذي هو الإبراز من العدم إلى الوجود ، والعرب تسمي التقدير خلقًا ومنه قول زهير بن أبي سلمى :

---

(١) البقرة : ٢٩ .

ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري

والدليل على أن المراد بهذا الخلق التقدير أنه تعالى نص على ذلك في سورة فصلت حيث قال: ﴿**وقدر فيها أقواتها**﴾[1]، ثم قال: ﴿**ثم استوى إلى السماء وهي دخان**﴾[2].

الثاني: أنه لما خلق الأرض غير مدحوة وهي أهل لكل ما فيها كان كل ما فيها كأنه خلق بالفعل لوجود أصله فعلًا، والدليل من القرآن على أن وجود الأصل يمكن به إطلاق الخلق على الفرع وإن لم يكن موجودًا بالفعل كقوله تعالى: ﴿**ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة**﴾[3] الآية، فقوله: ﴿**خلقناكم ثم صورناكم**﴾ أي بخلقنا وتصويرنا لأبيكم آدم الذي هو أصلكم.

* * *

المسألة الثامنة

كيف يمكن الجمع بين قوله تعالى: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾[4] أي يا محمد، وقوله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾[5]؟

أولًا: تعال معنا أخي القارئ لنعرف معنى كلا الآيتين عند ابن كثير في «تفسيره»، يقول ابن كثير في «تفسيره» الجزء الرابع صفحة ١٢٣: إنك أي يا محمد ﴿**لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾ وهو الخلق القويم ثم فسره بقوله تعالى: ﴿**صراط الله**﴾ أي شرعه الذي أمر به الله كما يقول ابن كثير في «تفسيره»، الآية الثانية: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ....**﴾ الآية يقول تعالى لرسوله ﷺ إنك يا محمد ﴿**لا تهدي من أحببت**﴾ أي ليس إليك ذلك، إنما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة كما قال تعالى في سورة البقرة آية ٢٧٢: ﴿**ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء**﴾. والآن تعال معنا للجمع بين هاتين الآيتين:

---

(١) فصلت: ١٠. (٢) فصلت: ١١. (٣) الأعراف: ١١.
(٤) الشورى: ٥٢. (٥) القصص: ٥٦.

يقول عبد اللّه علوان في كتابه «أفعال الإنسان بين الجبر والاختيار» صفحة ١٧ إلى ١٩، يقول: يظن بعض قاصري الفهم أن هناك تعارض بين قوله تعالى: ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾ وبين قوله: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكن اللّه يهدي من يشاء**﴾. وهذا يعود إلى سوء الفهم لتفسير الآيات، ومبلغ الجهل في معاني الكلمات، فظنوا - وبعض الظن إثم - أن في بعض الآيات تعارضًا، وفي معاني كلماته تناقضًا.. ولو أنهم تعمقوا في الفهم، وأحاطوا في علم التفسير لما وقعوا في هذا الوهم الفادح والجهل الذريع!!

وإليك أخي القارئ التوافق والانسجام في تفسير الآيتين: الهداية في القرآن الكريم تحمل على معنيين:

المعنى الأول: تأتي الهداية بمعنى الدلالة ومنه قوله تعالى في سورة فصلت: ﴿**وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون**﴾[1]، فمعنى هديناهم في هذه الآية بمعنى دللناهم على الطريق الموصل للخير.

والمعنى الثاني: تأتي الهداية بمعنى الإعانة والحمل على الخير ومنه قوله تعالى في سورة محمد: ﴿**والذين اهتدوا زادهم هدًى وءاتاهم تقواهم**﴾[2]، فمعنى ﴿**زادهم هدًى**﴾ أعانهم وحملهم على فعل الخير، فانطلاقًا من هذين المعنيين المتوافقين يمكن أن نفهم معنى الآيتين ﴿**وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم**﴾، ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكن اللّه يهدي من يشاء**﴾. فالهداية في الآية الأولى معناها الدلالة والمعنى: وإنك - يا محمد - لتدل على المنهج الأقوم والطريق الأفضل بالشريعة التي أنزلها اللّه إليك، والهداية في الآية الثانية معناها المعونة، والمعنى أنك - يا محمد - لا تستطيع أن تعين أحدًا على الهداية أو تحمله عليها إذا صد عنها وأعرض، وعطل في نفسه المنافذ التي توصل إليها.

إذن فلا تعارض ولا تناقض بين الآيتين. واللّه أعلم.

* * *

(١) فصلت: ١٧.

(٢) محمد: ١٧.

المسألة التاسعة

كيف نجمع بين قول الرسول ﷺ : « من نوقش الحساب عذب » رواه البخاري من حديث عائشة ، والحديث الذي فيه إثبات مناقشة المؤمن ، قال ﷺ : « إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول : أتعرف ذنب كذا ؟ أتعرف ذنب كذا ؟ فيقول : نعم أي رب ؛ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك ، قال : سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته » الحديث رواه البخاري؟ .

حديث : « **من نوقش الحساب عذب** » لا يتعارض مع الحديث الثاني وإليك بيان ذلك .

إن الحديث الأول صحيح السند والمعنى على الإطلاق وذلك لو أنك أجير عند صاحب عمل ما - ولله المثل الأعلى - قال لك صاحب العمل اعمل هذه الأشياء ولا تعمل هذه ، فلو عملت الذي أمرت به أعطيت أجرك وزيادة ، ولو عملت الذي نهيت عنه لم تعط أجرك ، وفي آخر اليوم جاءك صاحب العمل وأخذ يناقشك ليعطيك أجرك سألك بقوله : ألم أقل لك أنك لا تعمل كذا وكذا ؟ وأنت تقول : بلى بلى ، ولا يزال معك في النقاش والتقرير حتى تظن أنه لا أجر لك على الإطلاق ، وما ذلك إلا لأنك عملت الذي نهيت عنه وشرط الأجر أن تفعل المأمور وتترك المنهي ، وإذا لم يتحقق الشرط سقط الأجر ، هذا حساب ومحاسبة المخلوق مع المخلوق ، ولكن الله سبحانه وتعالى له في خلقه شئون وهو واسع المغفرة والرحمة ، فالله سبحانه وتعالى عندما يناقش العبد في الحساب يعلم العبد بعد هذا النقاش أنه هالك لا محالة لأن أعمال البر التي عملها في دنياه لا تؤهله مع هذه المناقشة للدخول في الجنة فظن الهلاك .

أخي القارئ : في بحثي عن طريق الجمع بين الحديثين وجدت تفسير آية من القرآن الكريم هي بمعنى الحديث الثاني ، والآية هي قوله تعالى : ﴿ **فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا** ﴾[1] هذا المعنى جاء في حديث في « صحيح البخاري » عن عائشة رضي الله عنها

(١) الانشقاق : ٨ .

عن النبي ﷺ قال : « **من نوقش الحساب عذب** » ، قالت - أي عائشة - قلت : أليس يقول اللَّه تعالى : ﴿ **فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا** ﴾ ، قال : « **يا عائشة إنما ذاك العرض** » وتفسير العرض هذا هو حديث الرسول ﷺ الذي معنا وهو الطرف الثاني من المسألة حيث قال الرسول ﷺ : « **إن اللَّه يدني المؤمن ....** » إلخ .

هذا ويقول الشيخ ابن عثيمين في كتابه « المجموع الثمين » الجزء الثاني صفحة ١٩١ و ١٩٢ في الجمع بين هذين الحديثين ، يقول : ليس في هذا إشكال لأن المناقشة معناها أن يحاسب فيطالب بهذه النعم التي أعطاه اللَّه إياها ، لأن الحساب الذي فيه المناقشة معناه إنك كما تأخذ تعطي ، ولكن حسَاب اللَّه لعبده المؤمن يوم القيامة ليس على هذا الوجه ، بل إنه مجرد فضل من اللَّه تعالى إذ قرره بذنوبه وأقر واعترف قال : « **سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم** » وكلمة (نوقش) تدل على هذا ، لأن المناقشة الأخذ أو الرد في الشيء والبحث على دقيقه وجليله ، وهذا لا يكون بالنسبة للَّه عز وجل مع عبده المؤمن بل إن اللَّه تعالى يجعل الحساب للمؤمن مبنيًا على الفضل والإحسان لا على المناقشة والأخذ بالعدل .

* * *

المسألة العاشرة

كيف نجمع بين قول الرسول ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض »[1] الحديث ، وقوله تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾[2] إلى قوله : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾[3] ؟ .

اعلم أيها القارئ الكريم - يرحمني ويرحمك اللَّه - : أن من شهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه لا يخلد في النار مهما عمل من الذنوب صغيرها وكبيرها ؛ لأن اللَّه سبحانه وتعالى تكفل بأن يخرج من النار ولا يخلد فيها من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان وحتى يطمئن قلبك إليك الدليل من الكتاب أولًا قال تعالى : ﴿ **إن اللَّه لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا** ﴾[4] هذا من الكتاب ،

---

(١) رواه البخاري . (٢) الحجرات : ٩ . (٣) الحجرات : ١٠ . (٤) النساء : ٤٠ .

أما من السنة فاقرأ إن شئت هذه القصة من القصص النبوي :

عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه قال : إن أناسًا في زمن رسول اللَّه ﷺ قالوا : يا رسول اللَّه ! هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال رسول اللَّه ﷺ : « **نعم** » قال : « **هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس معها سحاب ؟! وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوًا ليس فيها سحاب ؟!** » قالوا : لا يا رسول اللَّه !، قال : « **ما تضارون في رؤية اللَّه تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما . إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى أحد كان يعبد غير اللَّه سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد اللَّه من بر وفاجر ، وغبر أهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد عزير ابن اللَّه ، فيقال : كذبتم ، ما اتخذ اللَّه من صاحبة ولا ولد فماذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا يا ربنا ! فاسقنا ، فيشار إليهم : ألا تردون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا ، فيتساقطون في النار ، ثم يدعى النصارى ، فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا : كنا نعبد المسيح ابن اللَّه ، فيقال لهم : كذبتم ، ما اتخذ اللَّه من صاحبة ولا ولد ، فيقال لهم : ماذا تبغون ؟ فيقولون : عطشنا يا ربنا ! فاسقنا . قال : فيشار إليهم : ألا تردون ؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا ، فيتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد اللَّه تعالى من بر وفاجر ، أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها . قال : فماذا تنتظرون ؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد . قالوا : يا ربنا ! فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم . فيقول : أنا ربكم . فيقولون : نعوذ باللَّه منك ، لا نشرك باللَّه شيئًا - مرتين أو ثلاثًا - حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب . فيقول : هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها ؟ فيقولون : نعم . فيكشف عن ساق . فلا يبقى من كان يسجد للَّه من تلقاء نفسه إلا أذن اللَّه له بالسجود ، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل اللَّه ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه . قال تعالى : ﴿يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون﴾[1] ثم يرفعون رءوسهم ، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها**

(١) القلم : ٤٢ .

أول مرة. فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا. ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم».

قيل: يا رسول الله! وما الجسر؟ قال: «**دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل، والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم. حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده! ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا! كانوا يصومون معنا، ويصلون، ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى نصف ساقه، وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا! ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير، فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا، ثم يقول: ارجعوا، فمن وجدتم في قلبه نصف دينار من خير، فأخرجوه. فيخرجون خلقًا كثيرًا ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها مما أمرتنا أحدًا، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه**»[1].

وهذا الشاهد على المسألة من الحديث، لذا فإن الكفر الوارد في الحديث ليس كفرًا يخلد صاحبه في النار، وإليك حديث آخر قال الرسول ﷺ: «**من كفر أخاه فقد باء بها أحدهما**»[2] فقد سماه أخاه حين القول وقد أخبر أن أحدهما باء بها، فلو خرج أحدهما عن الإسلام بالكلية لم يكن أخاه بل فيه كفر.

(فبعض الناس يكون معه شعبة من شعب الكفر، ومعه إيمان أيضًا، وعلى هذا ورد عن النبي ﷺ في تسمية كثير من الذنوب كفرًا، مع أن صاحبها قد يكون معه أكثر من مثقال ذرة من إيمان فلا يخلد في النار كقوله: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**»[3]، وقوله: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»، وهذا الحديث هو الطرف الأول

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم. (٢) رواه مسلم. (٣) رواه البخاري ومسلم.

في المسألة، وهذا مستفيض عن النبي ﷺ في الصحيح من غير وجه، فإنه أمر في حجة الوداع أن ينادى به في الناس فقد سمى من يضرب بعضهم رقاب بعض بلا حق كفارًا، وسمى هذا الفعل كفرًا. ومع هذا فقد قال تعالى: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**﴾ إلى قوله: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ وهذا الطرف الثاني من المسألة، فبين أن هؤلاء لم يخرجوا من الإيمان بالكلية ولكن فيهم ما هو كفر وهي هذه الخصلة كما قال بعض الصحابة: (كفر دون كفر).

ذكر الإمام المبارك بن محمد بن الأثير في كتابه «جامع الأصول» في شرحه لغريب الحديث صفحة ١٠/ ٦٩: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا**» ذكر يقول: قال الخطابي: له تأويلان، أحدهما أنه أراد بالكفر: المتكفرين في السلاح، أي المستترين فيه وأصل الكفر: الستر، وقيل: معناه لا ترجعوا بعدي فرقًا مختلفة يقتل بعضكم بعضًا، فتشبهون الكفار، يريد أن الكفار يقتل بعضهم بعضًا لعداوتهم، بخلاف المسلمين فإنهم مأمورون بحقن دمائهم، وأن لا يقتل بعضهم بعضًا، وقيل: هم أهل الردة الذين قتلوا في زمن أبي بكر رضي اللّه عنه.

وبعد هذا كله أخي القارئ الكريم: هذه نصيحة أوجهها إليك:

لا يأخذك الغرور بعفو اللّه، فإن أجسامنا على النار لا تقوى، أما علمت معنا في القصة السابقة في حديث الرسول ﷺ أن العصاة يدخلون النار وهم يصلون ويصومون ثم يخرجون منها، فهل تقوى أجسامنا على النار ولو لحظة، طبعًا لا، فالنار شديد حرها بعيد قعرها، من دخلها هلك ومن خرج منها نجا، فلا تغتر بصلاتك وصيامك فتقبل على المعاصي كبيرها وصغيرها بحجة أنك تؤدي لأركان الإسلام.

خل الذنوب صغيرها ... وكبيرها ذاك التقى
كن مثل ماشٍ فوق ... أرض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرة ... إن الجبال من الحصى

* * *

المسألة الحادية عشرة

كيف يمكن الجمع بين قوله : «لا عدوى ولا طيرة» ، وقوله : «فر من المجذوم فرارك من الأسد» ؟

قال عفان حدثنا سليم بن حيان حدثني سعيد بن ميناء قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول اللّه ﷺ : « **لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ، وفر من المجذوم فرارك من الأسد** »[1] ؟

أخي القارئ الكريم اعلم علم اليقين أن ما شاء اللّه كان وما لم يشأ لم يكن ، إذا علمت هذه الحقيقة زال عنك اللبس واستبدلت الشك باليقين ، لذا نقول لك : لا تعارض بين قوله ﷺ : « **لا عدوى ولا طيرة** » وقوله : « **فر من المجذوم فرارك من الأسد** » حيث إن اتخاذ الأسباب لا يعني حتمية النتيجة ، فالنتيجة الحتمية هي بمشيئة اللّه . اقرأ إن شئت قول اللّه سبحانه وتعالى : ﴿ **أفرأيتم ما تحرثون** ﴾[2] ، ﴿ **أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** ﴾[3] ، إن الزارع في هذه الآية قد حرث الأرض وبذر البذر فهو - وهذه الحالة - قد تعاطى الأسباب أي أخذ بأسباب إنبات الزرع ومع هذا قال اللّه تعالى له : ﴿ **أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** ﴾ إلا أنه أي الزارع مع اتخاذه لأسباب الإنبات لا يضمن أن ينبت الزرع أو لا ينبت فهذا بيد اللّه عز وجل إن شاء نبت وإن لم يشأ لم ينبت ، هذا ، وإن اتخاذك للأسباب أمر مطلوب منك ، اقرأ إن شئت قول الرسول ﷺ : « **اعملوا فكل ميسر لما خلق له** »[4] ، ولكن يجب عليك ألا تنسب النتيجة للأسباب وإنما النتيجة بيد اللّه عز وجل ، لهذا يقول الرسول ﷺ : « **لا عدوى ولا طيرة** » أي لا عدوى إلا بمشيئة اللّه ، إلا أن انتقال المرض بالمخالطة أمر مُسَلَّم به عند الناس عمومًا ولكن هذا الأمر هو بيد اللّه عز وجل ، فكم من صحيح خالط مريضًا ولم يصب بمرض وكم من سقيم كان سقمه بدون سبب .

أخي القارئ الكريم إن من طرق الجمع بين هذين الحديثين هو أن الإنسان إذا كان مع المريض وفي محيط المرض يغلب جانب التوكل على اللّه ويقوي إيمانه باللّه عز وجل ،

---

(١) رواه البخاري .
(٢) الواقعة : ٦٣ .
(٣) الواقعة : ٦٤ .
(٤) رواه البخاري ومسلم .

وبقدر قوة إيمانه ينجو من المرض بإذن اللّه ، فالرسول ﷺ قد أكل مع المجذوم - روي عنه ذلك ثقة باللّه وتوكلًا عليه - ففي هذه الحالة حالة وقوعك في محيط المرض تقول : (لا عدوى ولا طيرة) فأنت وهذه الحالة قد غلبت جانب التوكل على جانب الفرار من المرض ، أما إذا كان المرض في بلد غير بلدك وأردت دخول ذلك البلد نقول لك ما قاله الرسول ﷺ : « **فر من المجذوم فرارك من الأسد** » فتفر من دخول ذلك البلد لقول عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه : نفر من قدر اللّه إلى قدر اللّه إجابة على سؤال من سأل أتفر من قدر اللّه ؟

كما ذكر في الجمع بين هذين القولين للرسول ﷺ في كتاب « فتح الباري في شرح صحيح البخاري » للحافظ ابن حجر العسقلاني ١١/ ٣١١ ذكر يقول : قال الطبري : الصواب عندنا القول بما صح به الخبر ، وأن لا عدوى ، وأنه لا يصيب نفسًا إلا ما كتب عليها ، وأما دنو عليل من صحيح فغير موجب انتقال العلة للصحيح ، إلا أنه لا ينبغي لذي صحة الدنو من صاحب العاهة التي يكرهها الناس ، لا لتحريم ذلك ، بل لخشية أن يظن الصحيح أنه لو نزل به ذلك الداء أنه من جهة دنوه من العليل فيقع فيما أبطله النبي ﷺ من العدوى . قال : وليس في أمره بالفرار من المجذوم معارضة لأكله معه ، لأنه كان يأمر بالأمر على سبيل الإرشاد أحيانًا وعلى سبيل الإباحة أخرى ، وإن كان أكثر الأوامر على الإلزام ، إنما كان يفعل ما نهى عنه أحيانًا لبيان أن ذلك ليس حرامًا . وقد سلك الطحاوي في « معاني الآثار » مسلك ابن خزيمة فيما ذكره فأورد حديث : « **لا يورد ممرض على مصح** » ثم قال : معناه أن المصح قد يصيبه ذلك المرض فيقول الذي أورده : لو أني ما أوردته عليه لم يصبه من هذا المرض شيء ، والواقع أنه لو لم يورده لأصابه لكون اللّه تعالى قدره ، فنهى عن إيراده لهذه العلة التي لا يؤمن غالبًا من وقوعها في قلب المرء ثم ساق الأحاديث في ذلك فأطنب ، وجمع بينها بنحو ما جمع به ابن خزيمة ، ولذلك قال القرطبي في « المفهم » : إنما نهى رسول اللّه ﷺ عن إيراد الممرض على المصح مخالفة للوقوع فيما وقع فيه أهل الجاهلية من اعتقاد العدوى ، أو مخافة تشويش النفوس وتأثير الأوهام ، وهو نحو قوله : « **فر من المجذوم فرارك من الأسد** » وإن كنا نعتقد أن الجذام لا يعدي ، لكنا نجد في أنفسنا نفرة وكراهية لمخالطته ، حتى لو أكره إنسان نفسه على القرب منه وعلى مجالسته لتأذت نفسه بذلك ، فحينئذ فالأولى للمؤمن أن لا يتعرض إلى ما يحتاج فيه إلى مجاهدة ، فيجتنب

طرق الأوهام، ويباعد أسباب الآلام، مع أنه يعتقد أنه لا ينجي حذر من قدر، والله أعلم.

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: الأمر بالفرار من الأسد ليس للوجوب، بل للشفقة، لأنه ﷺ كان ينهى أمته عن كل ما فيه ضرر بأي وجه كان ويدلهم على كل ما فيه خير، وقد ذكر بعض أهل الطب أن الروائح تحدث في الأبدان خللًا فكان هذا وجه الأمر بالمجانبة، وقد أكل هو مع المجذوم، فلو كان الأمر بمجانبته على الوجوب لما فعله، قال: ويمكن الجمع بين فعله وقوله بأن القول هو المشروع من أجل ضعف المخاطبين، وفعله حقيقة الإيمان، فمن فعل الأول أصاب السنة وهي أثر الحكمة، ومن فعل الثاني كان أقوى يقينًا لأن الأشياء كلها لا تأثير لها إلا بمقتضى إرادة الله تعالى وتقديره كما قال تعالى: ﴿**وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله**﴾[1] فمن كان قوي اليقين فله أن يتابعه ﷺ في فعله ولا يضره شيء، ومن وجد في نفسه ضعفًا فليتبع أمره في الفرار لئلا يدخل بفعله في إلقاء نفسه إلى التهلكة، فالحاصل أن الأمور التي يتوقع منها الضرر وقد أباحت الحكمة الربانية الحذر منها فلا ينبغي للضعفاء أن يقربوها وأما أصحاب الصدق واليقين فهم في ذلك بالخيار، قال: وفي الحديث أن الحكم للأكثر لأن الغالب من الناس هو الضعف، فجاء الأمر بالفرار بحسب ذلك، ويقول الشيخ ابن عثيمين في كتابه «المجموع الثمين» ٢/ ٢١١: العدوى موجودة، ويدل لوجودها قوله ﷺ: «**لا يورد ممرض على مصح**» أي: لا يورد صاحب الإبل المريضة على صاحب الإبل الصحيحة لئلا تنتقل العدوى، وقوله ﷺ: «**فر من المجذوم فرارك من الأسد**» الجذام: مرض خبيث معدٍ بسرعة ويتلف صاحبه، حتى قيل إنه الطاعون، فالأمر بالفرار لكي لا تقع العدوى، فيه إثبات العدوى لتأثيرها، لكن تأثيرها ليس أمرًا حتميًّا بحيث تكون علة فاعلة، ولكن أمر النبي ﷺ بالفرار من المجذوم، وأن لا يورد ممرض على مصح، من باب تجنب الأسباب لا من باب تأثير الأسباب بنفسها، قال الله تعالى: ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾[2]، ولا يقال إن الرسول ﷺ ينكر تأثير العدوى، لأن هذا أمر يبطله الواقع والأحاديث الأخرى، فإن قيل: إن الرسول ﷺ لما قال: «**لا عدوى**» قال رجل: يا رسول الله أرأيت الإبل تكون في الرمال مثل الصبا فيدخلها الجمل الأجرب فتجرب؟! فقال النبي ﷺ: «**فمن أعدى الأول؟!**» فالجواب

(١) البقرة: ١٠٢.
(٢) البقرة: ١٩٥.

أن النبي ﷺ أشار بقوله: «**فمن أعدى الأول؟!**» إلى أن المرض انتقل من المريضة إلى هذه الصحيحات بتدبير اللَّه عز وجل، فالمرض نزل على الأول بدون عدوى بل نزل من عند اللَّه عز وجل، والشيء قد يكون له سبب معلوم وقد لا يكون له سبب معلوم، وجرب الأول ليس معلومًا إلا أنه بتقدير اللَّه تعالى، وجرب الذي بعده له سبب معلوم، ولو شاء اللَّه تعالى ما جرب، ولهذا أحيانًا تصاب الإبل بالجرب ثم يرتفع ولا تموت، وكذلك الطاعون والكوليرا أمراض معدية قد تدخل البيت فتصيب البعض فيموتون، ويسلم آخرون ولا يصابون، فالإنسان يعتمد على اللَّه ويتوكل عليه وقد جاء أن النبي ﷺ قدم عليه رجل مجذوم فأخذه بيده وقال له: «**كل**» أي من الطعام الذي كان يأكل منه الرسول ﷺ لقوة توكله ﷺ، فهذا التوكل مقاوم لهذا السبب المعدي.

وهذا الجمع الذي ذكرنا أحسن ما قيل في الجمع بين الأحاديث، وادعى بعضهم النسخ، وهذه الدعوى غير صحيحة لأن من شرط النسخ تعذر الجمع. وإذا أمكن الجمع وجب لأن فيه إعمال الدليلين، وفي النسخ إبطال أحدهما، وإعمالهما أولى من إبطال أحدهما لأننا اعتبرناهما وجعلناهما حجة.

* * *

المسألة الثانية عشرة

كيف يمكن الجمع بين قوله تعالى: ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾[1]، والحديث الشريف عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال الرسول ﷺ: «لن يدخل أحدًا منكم عمله الجنة، قالوا: ولا أنت قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني اللَّه منه بفضل ورحمة»[2]؟

عزيزي القارئ الكريم اعلم أننا خلق من خلق اللَّه وما خلقنا إلا لنعبده، اقرأ إن شئت قول اللَّه تعالى: ﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾[3]، فنحن عبيد اللَّه والعبد لا يشترط مقابل عمله أجرًا من مولاه فالأعمال كلها التي يقوم بها هي مقابل عبوديته، إذا علمت ذلك ذهب همك وانكشف غمك ثم اعلم أن للَّه نعمًا لا تعد ولا تحصى، اقرأ إن شئت

---

(١) الزخرف: ٧٢.
(٢) رواه البخاري.
(٣) الذاريات: ٥٦.

قول اللَّه تعالى: ﴿**وإن تعدوا نعمة اللَّه لا تحصوها**﴾[1]، فإذا لم نستطع عدها ولا إحصاءها فكيف يتأتى لنا شكر ما لا نعلم وما علمنا من نعم اللَّه شكرنا اللَّه عليها إلا أن نعم اللَّه لا تعد ولا تحصى، فنحن مهما عملنا من طاعات لا نستطيع أن نوفي شكر ما لا نستطيع إحصاءه، إن الجنة ليست مقابل العمل، ولعلنا نذكر لكم هذه القصة من باب التأكيد بأن العمل لا يدخل صاحبه الجنة، كان فيمن كان قبلنا رجل عبد اللَّه خمسمائة عام لم يعص اللَّه فيها قط فلما وافاه الأجل المحتوم قال اللَّه لملائكته: أدخلوا عبدي الجنة بفضلي قال العبد: لا بل بعملي فقال اللَّه لملائكته ضعوا عبادة الخمسمائة سنة في كفة الميزان ونعمة البصر في الكفة الأخرى فرجحت نعمة البصر بعبادة الخمسمائة عام، فلما رأى العبد ذلك قال: بفضلك يا رب بفضلك يا رب ادخل الجنة فقال اللَّه لملائكته: أدخلوا عبدي الجنة بفضلي.

قد يقول قائل: أين ثواب الأعمال الصالحة؟ ألا تكون سببًا في دخول الجنة؟

نقول لك: إن الأعمال الصالحة سبب في دخول الجنة، فهي أسباب لكنها لا تعني حتمية النتيجة لأن النتيجة بيد اللَّه عز وجل إن شاء أمضى الأسباب وإن شاء عطلها فهو لا يسئل عما يفعل، وقد يقول قائل: إذا علمنا هذا فلِمَ نعمل؟ نقول لك: تعمل أولًا لأنك مأمور بالعمل، قال رسول اللَّه ﷺ: «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**»[2]، ثانيًا إنك لا تعلم النتيجة، وما دمت كذلك فعليك بما أمرت به وهو العمل.

وبعد هذه المقدمة الموجزة للمسألة والتي فيها فتحت أبوابها تعال معنا أخي القارئ لنتعرف معًا على طرق الجمع بين الآية والحديث عند العلماء الأجلاء. يقول ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ١٣٥ للآية أعلاه يقول: ثم قيل لهم على وجه التفضل والامتنان ﴿**وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون**﴾ أي أعمالكم الصالحة كانت سببًا لشمول رحمة اللَّه إياكم فإنه لا يدخل أحدًا عمله الجنة، ولكن برحمة اللَّه وفضله وإنما الدرجات ينال تفاوتها بحسب الأعمال الصالحات، هذا وقد أجاب ابن الجوزي رحمه اللَّه كما نقله ابن حجر عنه في «الفتح» ١١/ ٢٥٣ عن الجمع بين هذا الحديث وقوله تعالى: ﴿**وتلك الجنة التي**

---

(١) إبراهيم: ٣٤.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ بأربعة أجوبة :

الأول : أن التوفيق للعمل من رحمة اللَّه ولولا رحمة اللَّه السابقة ما حصل الإيمان ولا الطاعة التي يحصل بها النجاة .

الثاني : أن منافع العبد لسيده ، فعمله مستحق لمولاه ، فمهما أنعم عليه من الجزاء فهو من فضله .

الثالث : جاء في بعض الأحاديث أن نفس دخول الجنة برحمة اللَّه واقتسام الدرجات بالأعمال .

الرابع : أن أعمال الطاعات كانت في زمن يسير ، والثواب لا ينفذ ، فالإنعام الذي لا ينفد في جزاء ما نفد بالفضل لا بمقابلة الأعمال .

وقال ابن قيم في « مفتاح دار السعادة » : الباء المقتضية للدخول غير الباء النافية ، فالأولى السببية الدالة على أن الأعمال سبب للدخول المقتضية له كاقتضاء سائر الأسباب لمسبباتها ، والثانية باء المعاوضة نحو اشتريت منه بكذا ، فأخبر أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد ، وأنه لولا رحمة اللَّه لعبده لما أدخله الجنة لأن العمل بمجرده ولو تناهى لا يوجب بمجرده دخول الجنة ولا أن يكون عوضًا لها لأنه ولو وقع على الوجه الذي يحبه اللَّه لا يقاوم نعمة اللَّه ، بل جميع العمل ولا يوازي نعمة واحدة فتبقى سائر نعمه مقتضية لشكرها وهو لم يوفها حق شكرها[1] .. انتهى .

وهذا كما مر بنا في قصة الرجل العابد قال ابن حجر العسقلاني في كتابه « فتح الباري شرح صحيح البخاري » ١١/ ٣٠٠ قال : قال ابن بطال في الجمع بين هذا الحديث وقوله تعالى : ﴿ **وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾ ما محصله أن تحمل الآية على أن الجنة تُنال المنازل فيها بالأعمال ، فإن درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال وأن يحمل الحديث على دخول الجنة والخلود فيها ، ثم أورد على هذا الجواب قوله تعالى : ﴿ **سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾ فصرح بأن دخول الجنة أيضًا بالأعمال ، وأجاب بأنه لفظ مجمل بينه الحديث ، والتقدير ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم

(١) « جامع الأصول » لابن الأثير : ١/ ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

تعملون وليس المراد بذلك أصل الدخول، ثم قال: ويجوز أن يكون الحديث مفسرًا للآية، والتقدير ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة اللَّه بكم وتفضله عليكم لأن اقتسام منازل الجنة برحمته، وكذا أصل دخول الجنة هو برحمته حيث ألهم العاملين ما نالوا به ذلك، ولا يخلو شيء من مجازاته لعباده من رحمته وفضله، وقد تفضل عليهم ابتداءً بإيجادهم ثم برزقهم ثم بتعليمهم، وقال عياض: طريق الجمع أن الحديث فسر ما أجمل في الآية، فذكر نحوًا من كلام ابن بطال الأخير وأن من رحمة اللَّه وتوفيقه للعمل وهدايته للطاعة وكل ذلك لم يستحقه العامل بعمله. وإنما هو بفضل اللَّه ورحمته.

* * *

المسألة الثالثة عشرة

كيف يمكن الجمع بين قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر» - وبرواية أخرى التي يقول فيها ﷺ: «لا يدخل النار أحدٌ في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان»؟

الحديث الأول طرف من الحديث التالي، عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر**»، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا، قال: «**إن اللَّه جميل يحب الجمال، الكبر: بطر الحق، وغمط الناس**»[1]، والحديث الثاني طرف من الحديث التالي وفي رواية: «**لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ولا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال حبة خردل من كبر**»[2].

لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر، قال الخطابي: له تأويلان أحدهما أن يكون المراد كبر الكفر والشرك، ألا ترى أنه قد قابله في نقيضه بالإيمان فقال: «**لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**». والوجه الثاني: أن اللَّه تعالى إذا أراد أن يدخله أي يدخل عبده الجنة نزع ما كان في قلبه من كبر حتى يدخلها بلا كبر ولا غل في قلبه، قال تعالى: ﴿**ونزعنا ما في صدورهم من غل**﴾[3][4]، إلا أن النووي

---

(١) رواه مسلم. (٢) أخرجه أبو داود. (٣) الأعراف: ٤٣.

(٤) «جامع الأصول» لابن الأثير ١٠/٦١٤.

في شرحه لحديث مسلم يقول[1]: وهذان التأويلان فيهما بعد، فإن هذا الحديث يعني قوله: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر**» ورد في سياق النهي عن الكبر المعروف وهو الارتفاع على الناس واحتقارهم ودفع الحق، فلا ينبغي أن يحمل على هذين التأويلين المخرجين له عن المطلوب بل الظاهر ما اختاره القاضي عياض وغيره من المحققين أنه لا يدخل الجنة دون مجازاة إن جازاه، وقيل هذا جزاؤه لو جازاه، وقد يتكرم اللَّه سبحانه وتعالى بأن لا يجازيه بل لا بد أن يدخل كل الموحدين الجنة إما أولًا وإما ثانيًا بعد تعذيب بعض أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرين عليها، وأما قوله ﷺ «**لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان**» فالمراد به دخول الكفار وهو دخول الخلود، يعني لا يدخل دخول تخليد وتأبيد.

* * *

المسألة الرابعة عشرة

كيف يمكن الجمع بين قول الرسول ﷺ: «إن البذاذة من الإيمان». وقوله ﷺ: «إن اللَّه جميل يحب الجمال»؟

الحديث الأول هو طرف من الحديث التالي، روى أبو أمامة بن ثعلبة الأنصاري رضي اللَّه عنه قال: ذكر أصحاب رسول اللَّه ﷺ يومًا عنده الدنيا فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ألا تسمعون؟ ألا تسمعون؟ إن البذاذة من الإيمان إن البذاذة من الإيمان**» - يعني التقحل[2]، والحديث الثاني أيضًا طرف من الحديث التالي عن عبد اللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه قال: إن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر**» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: «**إن اللَّه جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس**»[3].

تعال معنا أخي القارئ الكريم لتتعرف على معنى البذاذة مع إيراد بعض الأحاديث التي تحث عليها.

---

(١) شرح «صحيح مسلم» للنووي ٢/٩١ في باب تحريم الكبر.

(٢) أخرجه أبو داود.

(٣) رواه مسلم ٩١ في «الإيمان».

البذاذة : رثاثة الهيئة وترك الزينة والمراد بها التواضع في اللباس وترك التبجح به[1] ، وهذا يعني التقشف والزهد ، أما الأحاديث النبوية الصحيحة التي تحث على هذا الجانب وهذا الصنف من العباد فهي : عن عائشة رضي اللَّه عنها قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : « **إن كنت تريدين الإسراع واللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد راكب وإياك ومجالسة الأغنياء ولا تستخلقي ثوبًا حتى ترقعيه** »[2] .

عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : « **رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على اللَّه لأبره** »[3] وفي رواية النسائي عن عبد اللَّه بن سفيان قال : (كان رجل من أصحاب النبي ﷺ عاملًا يحصر فأتاه رجل من أصحابه فإذا هو شعث الرأس مشعان[4] قلت : مالي أراك مشعانًّا وأنت أمير ، قال كان النبي ﷺ ينهانا عن الإرفاه[5] قلت : وما الإرفاه قال : الترجيل[6] كل يوم[7] .

والآن تعال معنا لنتعرف على تفسير قوله : « **إن اللَّه جميل** » وقوله ﷺ : « **إن اللَّه جميل يحب الجمال** » اختلفوا في معناه فقيل : إن معناه أن كل أمره سبحانه وتعالى حسن جميل وقيل جميل بمعنى مجمل ككريم وسميع بمعنى مكرم ومسمع وقيل غير ذلك[8] ، وبعد أن تعرفنا على معنى « **إن اللَّه جميل** » نورد لك حديثًا آخر في الجمال والتجمل عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال : إن رجلًا أتى رسول اللَّه ﷺ وكان رجلًا جميلًا فقال : يا رسول اللَّه إني رجل حبب إليَّ الجمال وأعطيت منه ما ترى حتى ما أحب أن يفوقني أحد - إما قال : بشراك وإما قال : بشسع نعل أفمن الكبر ذلك ؟ قال : « **لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمط الناس** »[9] .

وبعد أن تعرفنا على شرح غريب الحديثين وتزويد القارئ بأكثر من حديث في كل باب

---

(١) « جامع الأصول » لابن الأثير ٦٨٠/٤ .
(٢) أخرجه الترمذي ١٧٨١ في اللباس .
(٣) رواه مسلم ٢٦٢٢ في البر والصلة .
(٤) ثائر الرأس .
(٥) الاستكثار من الزينة ومنه أخذت الرفاهية .
(٦) أي تسريح الشعر .
(٧) رواه أبو داود رقم ٤١٦٠ في الترجل وهو حديث صحيح .
(٨) « شرح مسلم » للنووي ٩٠/٢ .
(٩) أخرجه أبو داود رقم ٤٠٩٢ في اللباس وهو حديث صحيح .

نأتي إلى الجمع أو التوفيق بين الحديثين، وما توفيقنا إلا باللَّه عز وجل، أخي القارئ الكريم إن اللَّه سبحانه وتعالى خلق الخلق وهو أعلم بخلقه، فمنذ الأزل يعلم أن صنفًا من خلقه يفضل البذاذة والبذاذة تقبله وعند الناس مقبول بهذه الهيئة أعني البذاذة فلو تكلف التجمل بالملابس وغيرها لأساء للجمال والتجمل ولأصبحت الأعين ترمقه من قرب ومن بعد لأن التجمل لا يليق به ولا يقبله. ويعلم اللَّه أيضًا أن هناك صنفًا آخر يفضل التجمل، والتجمل يليق به، فلا يخرج للناس إلا متجملًا والناس تعرف منه ذلك وتقبله، فلو تكلف البذاذة لاستغرب الناس هذه الهيئة عليه وظنوا به الظنون، لذا فاللَّه سبحانه وتعالى لم يحرم كلا الصنفين من رضاه فصاحب البذاذة مرضي عنه والأحاديث تدل على ذلك، وصاحب التجمل والجمال أيضًا مرضي عنه والأحاديث التي وردت تدل على ذلك فالكل خلق اللَّه وللَّه في خلقه شئون.

* * *

المسألة الخامسة عشرة

كيف يمكن الجمع بين قوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾[1] والنصوص الدالة على انتفاع الميت بما يُعمل له، ومن النصوص الدالة على انتفاع الميت بما ليس من سعيه:

١- عن عائشة عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون إلا شفعوا فيه»[2].

٢- وعن ابن عباس قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون باللَّه شيئًا إلا شفعهم اللَّه فيه»[3].

٣- وقد ثبت عنه أي عن رسول اللَّه ﷺ في الصحيحين أنه قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»[4]؟.

يقول ابن كثير في تفسير الآية أعلاه أي كما لا يحمل عليه وزر غيره وذلك في قوله تعالى: ﴿**لا تزر وازرة وزر أخرى**﴾[5]، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو

---

(١) النجم: ٣٩.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.
(٤) صحيح البخاري ومسلم.
(٥) النجم: ٣٨.

لنفسه ، ويقول : ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه اللّه ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم ولهذا لم يندب إليه رسول اللّه ﷺ أمته ولا حثهم عليه ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي اللّه عنهم ولو كان خيرًا لسبقونا إليه ، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما . وأما الحديث الذي رواه مسلم في « صحيحه » عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية من بعده أو علم ينتفع به** » فهذه الثلاثة في الحقيقة هي من سعيه وكده وعمله كما جاء في الحديث « **إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ولده من كسبه** »[1] ، والصدقة الجارية كالوقف ونحوه هي من آثار عمله ووقفه والعلم الذي نشره في الناس فاقتدى به الناس بعده هو أيضًا من سعيه وعمله ، وثبت في الصحيح : « **من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا** » ، وقوله تعالى : ﴿ **وأن سعيه سوف يرى** ﴾[2] أي يوم القيامة كقوله تعالى : ﴿ **وقل اعملوا فسيرى اللّه عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون** ﴾[3] أي فيجزيهم به ويجزيهم عليه أتم الجزاء إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر[4] .

كما أجاب ابن قيم في كتابه « الروح » على هذه المسألة فقال : إنه ينتفع الميت من سعي الأحياء بأمرين : أحدهما ما تسبب إليه الميت في حياته ، والثاني انتفاعه بغير ما تسبب فيه ، فالدليل على انتفاعه بما تسبب إليه في حياته ما رواه مسلم في « صحيحه » من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه أن الرسول اللّه ﷺ قال : « **إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له** » فاستثناء هذه الثلاث من عمله يدل على أنها منها فإنه هو الذي تسبب إليها ، وفي سنن ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **إنما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته**

---

(١) رواه البخاري وابن ماجه .
(٢) النجم : ٤٠ .
(٣) التوبة : ١٠٥ .
(٤) ابن كثير في « التفسير » ٤/٢٥٩ .

علم علمه ونشره أو ولدًا صالحًا تركه أو مصحفًا ورثه أو مسجدًا بناه أو بيتًا لابن السبيل بناه أو نهرًا أكراه أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته » .

وفي صحيح مسلم أيضًا من حديث جرير بن عبد اللّه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « **من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء** » وفي « المسند » عن حذيفة قال : سأل رجل على عهد رسول اللّه ﷺ فأمسك القوم ثم إن رجلًا أعطاه فأعطى القوم فقال النبي ﷺ : « **من سن خيرًا فاستن به غيره كان له أجره ومن أجور من تبعه غير منتقص من أجورهم شيئًا ، ومن سن شرًّا فاستن به غيره كان عليه وزره ، ومن أوزار من تبعه غير منتقص من أوزارهم شيئًا** »[1] .

وأما الدليل على انتفاعه بغير ما تسبب فيه ما رواه مسلم في صحيحه من حديث عوف ابن مالك قال صلى رسول اللّه ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول : « **اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله وأوسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارًا خيرًا من داره وأهلًا خيرًا من أهله وزوجًا خيرًا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار** » .

وكما في « صحيح » مسلم من حديث بريدة بن الحصيب قال : كان رسول اللّه ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا : « **السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء اللّه بكم لاحقون نسأل اللّه لنا ولكم العافية** » . هذه الأحاديث الدالة على استفادة الميت من دعاء المؤمنين له ، وأما وصول ثواب الصدقة ففي الصحيحين عن عائشة رضي اللّه عنها أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول اللّه إن أمي قتلت نفسها ولم توصِ وأظنها لو تكلمت تصدقت أفلها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال : « **نعم** » .

وفي صحيح البخاري عن عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهما أن سعد بن عبادة توفيت أمه وهو غائب عنها فأتى النبي ﷺ فقال : يا رسول اللّه إن أمي توفيت وأنا غائب عنها فهل

(١) انظر ابن قيم في كتابه « الروح » صفحة ١١٢ .

ينفعها إن تصدقت عنها ؟ قال : « **نعم** » ، قال : فإني أشهدك أن حائطي المخراف صدقة عنها .

وأما وصول ثواب الصوم ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول اللّه أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها ؟ قال : « **نعم فدَين اللّه أحق أن يقضى** » . وأما وصول ثواب الحج ففي « صحيح البخاري » عن ابن عباس رضي اللّه عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت : إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال : « **حجي عنها ، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا للّه فاللّه أحق بالقضاء** » .

أخي القارئ الكريم وبعدما تعرفت على الأحاديث الصحيحة الدالة على انتفاع الميت بسعي غيره من الأحياء اليك الجمع بين الأحاديث والآية التي في المسألة وهي قوله تعالى : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾ [1] يقول ابن قيم : آيتان محكمتان - ويعني بالآيتين الآية التي معنا والآية التي قبلها قوله تعالى : ﴿ **ألا تزر وازرة وزر أخرى** ﴾ [2] يقول : آيتان محكمتان يقتضيهما عدل الرب تعالى وحكمته وكماله المقدس ، والعقل والفطرة شاهدان بهما ، فالأولى تقتضي أنه لا يعاقب بجرم غيره والثانية تقتضي أنه لا يفلح إلا بعمله وسعيه ، فالأولى تؤمن العبد من أخذه بجريرة غيره كما يفعله ملوك الدنيا والثانية تقطع طمعه من نجاته بعمل آبائه وسلفه وذلك لأنه إذا اشتد طمعه في الانتفاع بعمل غيره اتكل عليه وترك العمل ، ولهذا يقول اللّه تعالى : ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه « الفتاوى » ٤٩٨/٧ - ٥٠٠ يقول : لا تعارض بين الآية والنصوص الدالة على انتفاع الميت بغير سعيه ، يقول الشيخ : إنه قد ثبت بالنصوص المتواترة وإجماع سلف الأمة أن المؤمن ينتفع بما ليس من سعيه كدعاء الملائكة واستغفارهم له كما في قوله تعالى : ﴿ **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا** ﴾ [3] الآية . ودعاء النبيين والمؤمنين واستغفارهم كما في قوله تعالى : ﴿ **وصَلِّ عليهم إن صلاتك سكن لهم** ﴾ [4] ، وقوله سبحانه :

---

(١) النجم : ٣٩ .
(٢) النجم : ٣٨ .
(٣) غافر : ٧ .
(٤) التوبة : ١٠٣ .

﴿ **ومن الأعراب من يؤمن باللّه واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند اللّه وصلوات الرسول** ﴾[1]، وقوله عز وجل: ﴿ **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** ﴾[2] وكدعاء المصلين للميت، ولمن زاروا قبره من المؤمنين.

إن الآية ليست في ظاهرها إلا أنه ليس له إلا سعيه وهذا حق فإنه لا يملك ولا يستحق إلا سعي نفسه، وأما سعي غيره فلا يملكه ولا يستحقه، لكن هذا لا يمنع أن ينفعه اللّه ويرحمه به كما أنه دائمًا يرحم عباده بأسباب خارجة عن مقدورهم، وهو سبحانه بحكمته ورحمته يرحم العباد بأسباب يفعلها العباد ليثيب أولئك على تلك الأسباب، فيرحم الجميع كما في الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال: « **ما من رجل يدعو لأخيه بدعوة إلا وكل اللّه به ملكًا كلما دعا لأخيه قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثلها** » وكما ثبت عنه ﷺ في « الصحيح » أنه قال: « **من صلى على جنازة فله قيراط ومن تبعها حتى تدفن فله قيراطان أصغرهما مثل أحد** » فهو قد يرحم المصلِّي عليه بدعائه له، ويرحم الميت أيضًا بدعاء هذا الحي له.

* * *

المسألة السادسة عشرة

النفس والروح هل هما شيء واحد أم شيئان متغايران؟.

وقبل الإجابة على هذه المسألة تعال معنا لنتعرف أولا على ملابسات النفس وملابسات الروح.

ملابسات النفس:

يقول ابن قيم[3]: وقع في كلام كثير من الناس أن لابن آدم ثلاث أنفس، نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة، وأن منهم مَنْ تغلب عليه هذه ومنهم من تغلب عليه الأخرى، ويحتجون على ذلك بقوله تعالى: ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة** ﴾[4]، وبقوله

---

(١) التوبة: ٩٩.
(٢) محمد: ١٩.
(٣) كتاب « الروح » لابن قيم الجوزية صفحة ٢١١ - ٢١٧ بتصرف.
(٤) الفجر: ٢٧.

تعالى : ﴿ **لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة** ﴾ [1] ، وبقوله تعالى : ﴿ **إن النفس لأمارة بالسوء** ﴾ [2] ، والتحقيق أنها نفس واحدة ، ولكن لها صفات فتسمى باعتبار كل صفة باسم فتسمى مطمئنة باعتبار طمأنينتها إلى ربها بعبوديته ومحبته والإنابة إليه والتوكل عليه والرضا به والسكون إليه ، قال تعالى : ﴿ **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر اللّه ألا بذكر اللّه تطمئن القلوب** ﴾ [3] . وأما النفس اللوامة وهي التي أقسم بها سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ **ولا أقسم بالنفس اللوامة** ﴾ [4] ، فاختلف فيها فقالت طائفة : هي التي لا تثبت على حال واحدة ، أخذوا اللفظة من التلوم وهو التردد فهي كثيرة التقلب والتلون وهي أعظم آيات اللّه فإنها مخلوق من مخلوقات اللّه تتقلب وتتلون في الساعة الواحدة فضلًا عن اليوم والشهر والعام والعمر ألوانًا متلونة فتذكر وتغفل وتقبل وتعرض وتلطف وتكثف وتنيب وتجفو وتحب وتبغض وتفرح وتحزن وترضى وتغضب وتطيع وتتقي وتفجر إلى أصناف ذلك من حالاتها وتكونها فهي تتلون كل وقت ألوانًا كثيرة . وأما النفس الأمارة فهي المذمومة فإنها التي تأمر بكل سوء وهذا من طبيعتها إلا ما وفقها اللّه وثبتها وأعانها ، فما تخلص أحد من شر نفسه إلا بتوفيق اللّه كما قال تعالى حاكيًا عن امرأة العزيز : ﴿ **وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا من رحم ربي إن ربي غفور رحيم** ﴾ [5] ، وقال تعالى : ﴿ **ولولا فضل اللّه عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحدٍ أبدًا** ﴾ [6] ، وقال تعالى لأكرم خلقه عليه وأحبهم إليه : ﴿ **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلًا** ﴾ [7] .

ملابسات الروح:

يقول ابن قيم في كتابه « الروح » صفحة ١٤٧ : والروح في القرآن على عدة أوجه : أحدها : الوحي كقوله تعالى : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا** ﴾ [8] ، وقوله تعالى : ﴿ **يلقي الروح من أمره على من يشاء من عبادة** ﴾ [9] وسمي الوحي روحًا لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح . الثاني : القوة والثبات والنصرة التي يؤيد بها من

---

(١) القيامة : ١ ، ٢ .
(٢) يوسف : ٥٣ .
(٣) الرعد : ٢٨ .
(٤) القيامة : ٢ .
(٥) يوسف : ٥٣ .
(٦) النور : ٢١ .
(٧) الإسراء : ٧٤ .
(٨) الشورى : ٥٢ .
(٩) غافر : ١٥ .

يشاء من عباده المؤمنين كما قال تعالى : ﴿ **أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه** ﴾ [1] . الثالث : جبريل كقوله تعالى : ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك** ﴾ [2] . وقال تعالى : ﴿ **قل من كان عدوًا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله** ﴾ [3] ، وهو روح القدرس ، قال تعالى : ﴿ **قل نزله روح القدس من ربك بالحق** ﴾ [4] . الرابع : المسيح ابن مريم ، قال تعالى : ﴿ **إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه** ﴾ [5] . وبعد كشف ملابسات كل من الروح والنفس ، فهل النفس والروح شيء واحد أو شيئان متغايران ؟ . لقد أجاب ابن قيم الجوزية في كتابه « الروح » على هذه المسألة صفحة ٢٠٨ ، ٢٠٩ فقال : اختلف الناس في ذلك فمن قائل : إن مسماهما واحد وهم الجمهور ، ومن قائل : إنهما متغايران ، ونحن نكشف سر المسألة بحول الله وقوته فنقول : النفس تطلق على أمور :

أحدها : الروح ، قال الجوهري : النفس الروح يقال : خرجت نفسه ، قال أبو خراش :

نجا سالمًا والنفس منه بشدقه ولم ينج إلا جفن سيف ومئزر

أي بجفن سيف ومئزر (والنفس : الدم) يقال : سالت نفسه ، وفي الحديث ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء إذ مات فيه ، (والنفس : الجسد) . قال الشاعر :

نبئت أن بني تميم أدخلوا أبناءهم تامور نفس المنذر

والتامور الدم (والنفس : العين) يقال : أصابت فلانًا أي العين قلت : ليس كما قال بل النفس ها هنا الروح ونسبة الإضافة إلى العين توسع لأنها تكون بواسطة النظر المصيب والذي أصابه إنما هو نفس العائن كما تقدم ، قلت : والنفس في القرآن تطلق على الذات بجملتها كقوله تعالى : ﴿ **فسلموا على أنفسكم** ﴾ [6] ، وقوله تعالى : ﴿ **يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها** ﴾ [7] ، **وقوله تعالى** : ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾ [8] ، وتطلق على الروح وحدها كقوله : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة** ﴾ [9] ، وقوله تعالى : ﴿ **أخرجوا**

---

(١) المجادلة : ٢٢ . (٢) الشعراء : ١٩٣ - ١٩٤ . (٣) البقرة : ٩٧ .
(٤) الإسراء : ١٠٢ . (٥) النساء : ١٧١ . (٦) النور : ٦١ .
(٧) النحل : ١١١ . (٨) المدثر : ٣٨ . (٩) الفجر : ٢٧ .

أنفسكم﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**ونهى النفس عن الهوى**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**إن النفس لأمارة بالسوء**﴾[3]. وأما الروح فلا تطلق على البدن بانفراده ولا مع النفس وتطلق الروح على القرآن الذي أوحاه اللّه تعالى إلى رسوله، قال تعالى: ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا**﴾[4]، وعلى الوحي الذي يوحيه إلى أنبيائه ورسله قال تعالى: ﴿**يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق**﴾[5]، وقال تعالى: ﴿**ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون**﴾[6]، وسمي ذلك روحًا لما يحصل به من الحياة النافعة فإن الحياة بدونه لا تنفع صاحبها البتة بل حياة الحيوان البهيم خيرًا منها وأسلم عافية. وسميت الروح روحًا لأن بها البدن وكذلك سميت الروح لما يحصل بها من الحياة، وهي من ذوات الواو لذا تجمع على أرواح، قال الشاعر:

إذا ذهبت الأرواح من نحو أرضكم ... وجدت لسيرها على كبدي بردا

ومنها الريح والريحان والاستراحة، فسميت النفس روحًا لحصول الحياة بها وسميت نفسًا إما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها وإما من تنفس الشيء إذا خرج، فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت نفسًا ومنه النَّفَسَ بالتحريك، فإن العبد كلما نام خرجت منه فإذا استيقظ رجعت إليه فإذا مات خرجت خروجًا كليًّا فإذا دفن عادت إليه فإذا سئل خرجت فإذا بعث رجعت إليه. فالفرق بين النفس والروح فرق بالصفات لا فرق بالذات، وإنما سمي الدم نفسًا لأن خروجه الذي يكون معه الموت يلازم خروج النفس وإن الحياة لا تتم إلا به كما لا تتم إلا بالنفس فلهذا قال:

تسيل على حد الظباة نفوسنا ... وليست على غير الظباة تسيل

ويقال فاضت نفسه وخرجت نفسه وفارقت نفسه كما يقال خرجت روحه ولكن الفيض الاندفاع وهلة واحدة ومنه الإفاضة وهي الاندفاع بكثرة وسرعة، لكن أفاض إذا

---

(١) الأنعام: ٩٣. (٢) النازعات: ٤٠. (٣) يوسف: ٥٣.
(٤) الشورى: ٥٢. (٥) غافر: ١٥. (٦) النحل: ٢.

دفع اختياره وإرادته وفاض إذا اندفع قسرًا وقهرًا فالله سبحانه وتعالى يفيضها عند الموت فتفيض هي .

أما عند الشيخ ابن عثيمين [1] فقد أجاب قائلًا : الروح في الغالب تطلق على ما به الحياة سواء كان ذلك حسًا أو معنى ، فالقرآن يسمى روحًا ، قال الله تعالى : ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا** ﴾ [2] لأن به حياة القلوب بالعلم والإيمان ، والروح التي يحيا بها البدن روحًا كما قال تعالى : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي** ﴾ [3] . أما النفس فتطلق على ما تطلق عليه الروح كثيرًا كما في قوله تعالى : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى** ﴾ [4] ، وقد تطلق النفس على الإنسان نفسه فيقال جاء فلان نفسه ، فتكون بمعنى الذات ، فهما يتفقان أحيانًا ويفترقان أحيانًا بحسب السياق .

وينبغي بهذه المناسبة أن يعلم أن الكلمات إنما يحدد معناها بسياقها فقد تكون الكلمة الواحدة لها معنى في سياق ، ومعنى آخر في سياق ، فالقرية مثلًا تطلق على نفس المساكن وتطلق أحيانًا على الساكن نفسه ففي قوله تعالى عن الملائكة الذين جاءوا إبراهيم قالوا : ﴿ **إنا مهلكو أهل هذه القرية** ﴾ [5] ، المراد بالقرية هنا المساكن ، وفي قوله تعالى : ﴿ **وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابًا شديدًا** ﴾ [6] ، المراد بها الساكن ، وفي قوله تعالى : ﴿ **أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها** ﴾ [7] المراد بها المساكن ، وفي قوله تعالى : ﴿ **واسأل القرية التي كنا فيها** ﴾ [8] المراد : الساكن .

فالمهم أن الكلمات إنما يتحدد معناها بسياقها وبحسب ما تضاف إليه ، وبهذه القاعدة المفيدة المهمة يتبين لنا رجحان ما ذهب إليه كثير من أهل العلم من أن القرآن الكريم ليس فيه مجاز وأن جميع الكلمات التي في القرآن حقيقةٌ لأن الحقيقة هي ما يدل عليه سياق الكلام بأي صيغة كان ، فإذا كان الأمر كذلك تبين لنا بطلان قول من يقول إن في القرآن مجازًا ، وقد كتب في هذا أهل العلم وبينوه . ومن أبين ما يجعل هذا القول صوابًا أن من علامات

---

(١) « المجموع الثمين » للشيخ ابن عثيمين ٢/٢٣٤ ، ٢٣٥ .
(٢) الشورى : ٥٢ .
(٣) الإسراء : ٨٥ .
(٤) الزمر : ٤٢ .
(٥) العنكبوت : ٣١ .
(٦) الإسراء : ٥٨ .
(٧) البقرة : ٢٥٩ .
(٨) يوسف : ٨٢ .

المجاز صحة نفيه بمعنى أنه يصح أن ننفيه فإذا قال فلان أسد، صح لك نفيه، وهذا لا يمكن أن يكون في القرآن، فلا يمكن لأحد أن ينفي شيئًا مما ذكره الله تعالى في القرآن، والخلاصة في هذه المسألة أن النفس والروح شيء واحد ولكنهما تختلفان باختلاف السياق والله أعلم.

* * *

المسألة السابعة عشرة

كيف يمكن الجمع بين قوله تعالى: ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره﴾[2] ؟.

أولًا: لننظر معًا في تفسير هاتين الآيتين عند ابن كثير وبعد ذلك نبين الجمع بينهما، يقول ابن كثير في تفسيره للآية الأولى: (وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطي أحدهم كتابه في العرصات بشماله)[3]. ويقول أيضًا في تفسيره للآية الثانية: (أي بشماله من وراء ظهره تثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها)[4].

يقول الشيخ ابن عثيمين في الجمع بين هاتين الآيتين: (الجمع بينهما أن يقال: يأخذه بشماله لكن تخلع الشمال إلى الخلف من وراء ظهره والجزاء من جنس العمل فكما أن هذا الرجل جعل كتاب الله وراء ظهره أعطي كتابه يوم القيامة من وراء ظهره جزاء وفاقًا)[5].

وهذا الرأي مطابق لرأي ابن كثير في تفسيره.

* * *

المسألة الثامنة عشرة

كيف يمكن الجمع بين قوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿فمن شاء فليؤمن﴾[7] ؟.

---

(١) الحاقة: ٢٥. (٢) الانشقاق: ١٠. (٣) «تفسير ابن كثير»: ٤/ ٤١٧.
(٤) نفس المرجع: ٤/ ٤٦٠. (٥) الشيخ ابن عثيمين «المجموع الثمين» ٢/ ١٨٩.
(٦) الأنعام: ١٢٥. (٧) الكهف: ٢٩.

أخي القارئ الكريم تعال معنا للتعرف أولًا على معنى الآيتين عند علماء التفسير. يقول ابن كثير[1] في تفسير قوله تعالى: ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام**﴾ أي ييسره له وينشطه ويسهله، لذلك فهذه علامات على الخير كقوله تعالى: ﴿**أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه**﴾[2] الآية، وقال تعالى: ﴿**ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون**﴾[3]، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام**﴾، يقول تعالى يوسع قلبه للتوحيد والإيمان به، وكذا قال أبو مالك، سئل النبي ﷺ عن هذه الآية: ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام**﴾ قالوا: كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال: «**نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح**»، قالوا: فهل لذلك من أمارة يعرف بها؟ قال: «**الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل لقاء الموت**»[4]، كذلك قال محمد الأمين الشنقيطي[5] في كتابه «أضواء البيان» نحو هذا القول. فإذا قيل إن إرادة الله تدفع الإنسان دفعًا إلى الهدى أو الضلال.. لم تكن هذه هي الحقيقة الفعلية، وإذا قيل: إن إرادة الإنسان هي التي تقرر مصيره كله.. لم تكن هذه هي الحقيقة الفعلية كذلك، إن الحقيقة الفعلية تتألف من نسب دقيقة - وغيبية كذلك - بين طلاقة المشيئة الإلهية وسلطانها الفاعل، وبين اختيار العبد واتجاهه الإرادي بلا تعارض بين هذه وتلك ولا تصادم[6].

هذا ما قيل في الآية الأولى، أما الآية الثانية: ﴿**فمن شاء فليؤمن**﴾ يقول ابن كثير في تفسيره[7] لهذه الآية: هذا من باب التهديد والوعيد الشديد، ولهذا قال الله تعالى: ﴿**إنا أعتدنا للظالمين نارًا**﴾[8]، كذا قال محمد الأمين الشنقيطي[9] في كتابه «أضواء البيان»

---

(١) «تفسير ابن كثير»: ٢/ ١٧٥. (٢) الزمر: ٢٢. (٣) الحجرات: ٧.

(٤) رواه ابن مردويه في «تفسيره» بسند متصل عن عبد الله بن مسعود، والتدويل عن محمد بن كعب القرظي.

(٥) «أضواء البيان» للشنقيطي: ٢/ ٢١٠.

(٦) «في ظلال القرآن» لسيد قطب: ٣/ ١٢٠٤. (٧) «تفسير ابن كثير»: ٣/ ٨٢.

(٨) الكهف: ٢٩. (٩) «أضواء البيان» للشنقيطي: ٤/ ٩٢.

مثل هذا القول .

وبعد أن تعرفنا على معنى الآيتين تعال معنا للجمع والتوفيق بينهما ، وما توفيقنا إلا بالله .

وأما الجمع بينهما فإنه قد جمع بينهما الشيخ ابن عثيمين حيث قال[1] : (الجمع بينهما أن الله تعالى يخبر في بعض الآيات بأن الأمر بيده ، ويخبر في بعض الآيات أن الأمر راجع إلى المكلف والجمع بين هذه النصوص أن يقال إن للمكلف إرادة واختيارًا وقدرة وأن خالق هذه الإرادة والاختيار والقدرة هو الله عز وجل فلا يكون للمخلوق إرادة إلا بمشيئة الله عز وجل ، وقد قال الله تعالى مبينًا الجمع بين هذه النصوص : ﴿**لمن شاء منكم أن يستقيم ، وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين**﴾[2] ، ولكن متى يشاء الله تعالى أن يهدي الإنسان أو أن يضله ، هذا هو ما جاء في قوله تعالى : ﴿**فأما من أعطى واتقى ، وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى**﴾[3] واقرأ قوله تعالى : ﴿**فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين**﴾[4] نجد أن سبب ضلال العبد من نفسه فهو السبب ، والله تعالى يخلق عند ذلك فيه إرادة للسوء لأنه هو يريد السوء وأما من أراد الخير وسعى في الخير وحرص عليه فإن الله تعالى ييسره لليسرى ، ولما حدث النبي ﷺ أصحابه بأنه ما من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار ، قالوا : يا رسول الله أفلا نتكل على الكتاب وندع العمل ؟ قال : « **لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له** » ثم قرأ هذه الآية : ﴿**فأما من أعطى واتقى ...** ﴾[5] إلخ .

واعلم يا أخي أنه لا يمكن أن يوجد في كلام الله أو فيما صح عن رسول الله ﷺ تناقض أبدًا فإذا قرأت نصين ظاهرهما التناقض فأعد النظر مرة أخرى فسيتبين لك الأمر فإن لم تعلم فالواجب عليك التوقف وأن تكل الأمر إلى عالمه ، والله بكل شيء عليم .

* * *

---

(١) « المجموع الثمين » للشيخ ابن عثيمين : ١/ ١٦٦ .

(٢) التكوير : ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) الليل : ٥ - ١٠ .

(٤) الصف : ٥ .

(٥) الليل : ٥ ، ٦ .

المسألة التاسعة عشرة

كيف يمكن الجمع بين قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرًا لأنفسكم، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[2]؟.

اختلف المفسرون من الصحابة وغيرهم في الآية الأولى هل هي محكمة أو منسوخة، فابن عباس ومن وافقه يقولون إنها محكمة، ويفسرون حق تقاته بأن يجاهدوا في سبيله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقومون بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم، وذهب سعيد بن جبير وأبو العالية والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان وزيد ابن أسلم والسدي وغيرهم إلى أنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾. والأظهر أنه لا شيء في الآية، وأن تقوى الله حق تقاته يراد به ما دلت عليه الآية الأخرى وهي قوله تعالى: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾[3].

* * *

المسألة العشرون

كيف يمكن التوفيق بين هذه الآيات: قال تعالى: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾[4]، وردت اليد هنا مفردة، وقوله تعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾[5]، وردت مثناة، وقوله تعالى: ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا ... ﴾[6] الآية، وردت جمعًا؟.

اعلم أخي القارئ الكريم أن اليدين صفة من صفات الله الثابتة في الكتاب والسنة وإجماع السلف.

قال تعالى: ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾، وقال النبي ﷺ: «**يمين الله ملأى لا يغيضها**

---

(١) آل عمران: ١٠٢.
(٢) التغابن: ١٦.
(٣) «فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء»: جمع أحمد بن عبد الرزاق الدويش: ٤/ ١٦١.
(٤) الملك: ١.
(٥) المائدة: ٦٤.
(٦) يس: ٧١.

نفقة شيء الليل والنهار - إلى قوله : - **بيده الأخرى القسط يرفع ويخفض** »[1] .

والتوفيق بين هذه الوجوه الواردة في المسألة أن نقول : (الوجه الأول مفرد مضاف فيشمل كل ما ثبت للّه من يد ولا ينافي التثنية ، وأما الجمع فهو للتعظيم لا لحقيقة العدد الذي هو ثلاثة فأكثر ، وحينئذ لا ينافي التثنية على أنه قد قيل إن أقل الجمع اثنان فإذا حمل الجمع على أقله فلا معارضة بينه وبين التثنية أصلًا)[2] .

* * *

المسألة الحادية والعشرون

كيف يمكن الجمع بين قوله بأن أسماء اللّه غير محصورة بعدد معين وذلك ما نقرأه في الحديث الشريف المشهور : « أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك »[3] ؟ .

ما استأثر اللّه به في علم الغيب عنده لا يمكن حصره ولا الإحاطة به . وقوله في الحديث الصحيح : « إن للّه تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة »[4] ؟ .

أخي القارئ الكريم : الواجب نحو نصوص الكتاب والسنة في أسماء اللّه وصفاته إبقاء دلالتها على ظاهرها من غير تغيير لأن اللّه أنزل القرآن بلسان عربي مبين والنبي ﷺ يتكلم باللسان العربي فوجب إبقاء دلالة كلام اللّه وكلام رسوله على ما هي عليه في ذلك اللسان ، ولأن تغييرها عن ظاهرها قول على اللّه بلا علم وهو حرام .

أسماء اللّه كلها حسنى أي بالغة في الحسن غايته ؛ لأنها متضمنة بصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه ، قال اللّه تعالى : ﴿ **وللّه الأسماء الحسنى** ﴾[5] ، أما طريقة الجمع بين هذين الحديثين الواردين في المسألة هو أن للّه تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها

(١) رواه البخاري ومسلم .

(٢) « شرح لمعة الاعتقاد » للشيخ محمد صالح العثيمين صفحة ٢٨ .

(٣) انظر « مسند الإمام أحمد » و « صحيح ابن حبان » و « الوابل الصيب من الكلم الطيب » لابن قيم الجوزية ص١٣٤ .

(٤) رواه البخاري .

(٥) الأعراف : ١٨٠ .

دخل الجنة ، معنى هذا الحديث أن من أسماء اللّه تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة ، وليس المراد حصر أسمائه تعالى بهذا العدد ، وهذا ما ثبت في الحديث الأول ونظير هذا أن تقول عندي مائة درهم أعددتها للصدقة فلا ينافي أن يكون عندك دراهم أخرى أعددتها لغير الصدقة[1] .

* * *

المسألة الثانية والعشرون

كيف يمكن الجمع بين قوله بأن الذي يوزن العمل والحديث الشريف : «واللّه أنهما لأثقل في الميزان من جبل أحد»[2] يعني ساقي عبد اللّه بن مسعود؟ .

وقبل الجمع والتوفيق في هذه المسألة . تعال معنا أخي القارئ الكريم لنعرف معًا حقيقة الميزان الأخروي وهل هو ميزان واحد أو أكثر من ميزان ؟ الميزان لغة : هو ما تقدر به الأشياء خفة وثقلًا .

وشرحًا ما يضعه اللّه يوم القيامة لوزن أعمال العباد ، وقد دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف ، قال تعالى : ﴿**فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفحلون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون**﴾[3] ، وقوله : ﴿**ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين**﴾[4] ، وقال النبي ﷺ : «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان اللّه وبحمده سبحان اللّه العظيم**»[5] ، وأجمع السلف على ثبوت ذلك وهو ميزان حقيقي له كفتان لحديث عبد اللّه بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ في صاحب البطاقة[6] ، قال : «**فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة**»[7] ، واختلف العلماء هل ميزان واحد أو متعدد فقال بعضهم : متعدد بحسب الأمم أو الأفراد أو

(١) «شرح لمعة الاعتقاد» للشيخ ابن عثيمين صفحة ٨ .

(٢) «مسند الإمام أحمد» . (٣) المؤمنون : ١٠٢ ، ١٠٣ . (٤) الأنبياء : ٤٧ .

(٥) رواه البخاري ومسلم . (٦) نعني بالبطاقة لا إله إلا اللّه .

(٧) رواه الترمذي وابن ماجة ، قال الألباني : إسناده صحيح .

الأعمال لأنه لم يرد في القرآن إلا مجموعة وأما إفراده في الحديث فباعتبار الموزون وكلا الأمرين محتمل والله أعلم.

أما الجواب على المسألة فالذي يوزن العمل لظاهر الآية السابقة والحديث بعدها، وقيل صحائف العمل لحديث صاحب البطاقة، وقيل العامل نفسه لحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال اقرءوا - ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنًا﴾**[1] [2]، وجمع بعض العلماء بين هذه النصوص بأن الجميع يوزن أو أن الوزن حقيقة للصحائف وحيث أنها تثقل وتخف بحسب الأعمال المكتوبة صار الوزن كأنه للأعمال وأما وزن صاحب العمل فالمراد به قدره وحرمته وهذا جمع حسن والله أعلم[3].

* * *

المسألة الثالثة والعشرون

كيف يمكن الجمع بين قوله تعالى: ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك، قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾[5] ؟.

وقال السدي: ﴿**إن تصبهم حسنة**﴾ قالوا: والحسنة الخطب ينتج خيولهم وأنعامهم ومواشيهم ويحسن حالهم وتلد نساؤهم الغلمان، قالوا: هذه من عند الله، وإن تصبهم سيئة، قالوا: والسيئة الضرر في أموالهم، قحط وجدب ونقص في الثمار والزرع أو موت الأولاد تشاؤمًا بمحمد، قالوا: هذه من عندك. يقولون: بتركنا ديننا واتباعنا محمدًا أصابنا هذا البلاء، فأنزل الله: ﴿**قل كل من عند الله**﴾ الحسنة والسيئة ﴿**فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا ؟**﴾، وفي الصحيح: «**والذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن هم**

---

(١) الكهف: ١٠٥.
(٢) رواه البخاري ومسلم.
(٣) «شرح لمعة الاعتقاد» محمد صالح العثيمين صفحة ٧٧.
(٤) النساء: ٧٨.
(٥) النساء: ٧٩.

ولا حزن ولا نصب حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله عنه بها في الخطايا». وقوله: ﴿**ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾ بعد قوله: ﴿**كل من عند الله**﴾، لو اقتصر على الجمع قل كل من عند الله أعرض العاصي عن ذم نفسه والتوبة من الذنب والاستعاذة من شره وقام بقلبه حجة إبليس فلم تزده إلا فرارًا كما زادت المشركين ضلالًا حيث قالوا: ﴿**لو شاء الله ما أشركنا**﴾[1]، ولو اقتصر على الفرق لغابوا عن التوحيد والإيمان بالقدر واللجوء إلى الله في الهداية كما في خطبته ﷺ: «**الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره**»[2] فيشكره ويستعينه على طاعته ويستغفره من معصيته ويحمده على إحسانه ثم قال: «**ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ...**» إلخ لما استغفر من المعاصي استعاذه من الذنوب التي لم تقع، ثم قال: «**ومن سيئات أعمالنا**» أي ومن عقوباتها، ثم قال ففيه إثبات القضاء الذي هو نظام التوحيد هذا كله مقدمة بين يدي الشهادتين فإنما يتحققان بحمد الله وإعانته واستغفاره واللجوء إليه والإيمان بأقداره فهذه الخطبة عقد نظام الإسلام والإيمان، وقال: كون الحسنات من الله والسيئات من النفس له وجوه: الأول أن النعم تقع بلا كسب، والثاني أن عمل الحسنات من إحسان الله إلى عبده فخلق الحياة وأرسل الرسل وحبب إليهم الإيمان، وإذا تدبرت هذا شكرت الله فزادك وإذا علمت أن الشر لا يحصل إلا من نفسك تبت فزال. فإذا علم الإنسان أن السيئة من نفسه لم يطمع في السعادة التامة مع ما فيه من الشر بل علم تحقيق قوله: ﴿**من يعمل سوءًا يجز به**﴾[3] ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره**﴾[4].. إلخ، وعلم أن الرب عليم حكيم رحيم عدل وأفعاله على قانون العدل والإحسان كما في «الصحيح»: «**يمين الله ملأى**» إلى قوله: «**والقسط بيده الأخرى**»[5]. قال: وفي قوله تعالى: ﴿**من نفسك**﴾ من الفوائد: أن العبد لا يطمئن إلى نفسه ولا يشتغل بملام الناس وذلهم، بل يسأل الله أن يعينه على

---

(١) الأنعام: ١٤٨.

(٢) هذه من خطب الرسول ﷺ أخرجها أبو داود (٢/ ٢٣٩) رقم (٢١١٨)، والترمذي (٣/ ٤١٣) رقم (١١٠٥)، والنسائي (٣/ ١٠٥) رقم (١٤٠٤)، وابن ماجه (١/ ٦٠٩) رقم (١٨٩٢)، وأحمد بن حنبل (١/ ٣٩٢/ ٣٩٣/ ٤٣٢).

(٣) النساء: ١٢٣.　　(٤) الزلزلة: ٧.　　(٥) رواه البخاري ومسلم.

طاعته ولهذا كان أنفع الدعاء وأعظمه دعاء الفاتحة وهو محتاج إلى الهدى كل لحظة ويدخل فيه من أنواع الحاجات ما لا يمكن حصره ويبينه أن اللَّه سبحانه لم يقص علينا قصة في القرآن إلا لنعتبر وإنما يكون الاعتبار إذا قسنا الثاني بالأول، فلولا أن في النفوس ما في نفوس المكذبين للرسل لم يكن بنا حاجة إلى الاعتبار بمن لا نشبهه فقط، وقال بعضهم: ما من نفس إلا وفيها ما في نفس فرعون وذلك أن الإنسان إذا اعتبر وتعرف أحوال الناس رأى ما يبغض نظيره واتباعه حسدًا كما فعلت اليهود لما بعث اللَّه من يدعو إلى مثل ما دعا إليه موسى، ولهذا أخبر عنهم بنظير ما أخبر به عن فرعون، فإن قيل: إذا كانت الطاعات والمعاصي مقدرة والنعم والمصائب مقدرة فلم فرق بين الحسنات التي هي النعم والسيئات التي هي المصائب؟ فجعل هذه من اللَّه وهذه من نفس الإنسان؟، قيل الفروق بينهما: الفرق الأول أن نعم اللَّه وإحسانه إلى عباده يقع ابتداءً بلا سبب منهم أصلًا فهو ينعم بالعافية والرزق والنظر وغير ذلك على من لم يعمل خيرًا قط وينشئ للجنة خلقًا يسكنهم فضول الجنة وقد خلقهم في الأخرى لم يعملوا خيرًا ويدخل أطفال المؤمنين ومجانينهم الجنة برحمته بلا عمل، وأما العقاب: فلا يعاقب أحدًا إلا بعمله، والفرق الثاني أن الذي يعمل الحسنات إذا عملها فنفس عمله الحسنات هو من إحسان اللَّه وبفضله عليه بالهداية، فالإيمان كما قال أهل الجنة: ﴿**الحمد للَّه الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللَّه**﴾[1]. وفي الحديث الصحيح: «**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرًا فليحمد اللَّه ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»، وأما السيئة فلا تكون إلا بذنب العبد، وذنبه من نفسه[2].

* * *

المسألة الرابعة والعشرون

كيف يمكن التوفيق بين قوله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله»[3] وقوله ﷺ: «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها

---

(١) الأعراف: ٤٣.

(٢) «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» ١٤ من صفحة ٢٢٢ إلى صفحة ٢٦١ بتصرف.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

تكفر اللسان تقول : اتق اللَّه فينا فإنما نحن بك فإنك إن استقمت استقمنا وإذا اعوججت اعوججنا »[1] ؟ .

اعلم أخي القارئ الكريم أنه لا تعارض بين حديث وحديث ، فالقلب رئيس والأعضاء موظفون وما للأعضاء إلا تنفيذ تعاليم رئيسها فإن صلح الرئيس صلح الموظفون وإن فسد الرئيس فسد الموظفون ، القلب أمير والأعضاء أتباع فإن صلح الأمير صلح الأتباع وإن فسد الأمير فسد الأتباع ، القلب راعي والأعضاء رعية فإن صلح الراعي صلحت الرعية ، وقال الحافظ أبو بكر عبد اللَّه بن محمد بن أبي الدنيا في كتابه « الصمت وحفظ اللسان » صفحة ٣٩ قال في الجمع بينهما : اللسان ترجمان القلب وخليفته في ظاهر البدن فإذا أسند إليه الأمر يكون على سبيل المجاز في الحكم .

* * *

المسألة الخامسة والعشرون

كيف يمكن الجمع بين قوله تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾[2] ، وقوله تعالى في الآيات الكريمة التالية : ﴿إنّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه﴾[3] ، ﴿خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾[4] ، ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾[5] ؟ .

﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ إن غاية الوجود الإنساني كله محصورة في العبادة لا تتعداها إلى شيء غيرها على الإطلاق ، فالنفي والاستثناء هما أقوى صور الحصر والقصر في اللسان العربي ومعناهما النفي البات من جهة والحصر الكامل ، ومن جهة أخرى : نفي أي غاية لوجود البشر غير عبادة اللَّه وحصر غاية هذا الوجود كله في عبادة اللَّه [6] اهـ ، إذا كان هذا هو معنى هذه الآية فكيف يمكن الجمع بينها وبين الآيات التي في الطرف الثاني من المسألة ؟

---

(١) رواه الترمذي في أبواب الزهد باب ماجاء في حفظ اللسان : (حديث : ٢٥١٨) .
(٢) الذاريات : ٥٦ . (٣) الإنسان : ٢ . (٤) الملك : ٢ .
(٥) الكهف : ٧ . (٦) « مفاهيم ينبغي أن تصحح » لمحمد قطب صفحة ١٧٤ .

اعلم أخي القارئ الكريم أن القرآن لا يناقض بعضه بعضًا إنما يفسر بعضه بعضًا ويفصله فلا تناقض بين هذه الآيات جميعًا . إذ إن الابتلاء الذي يتعرض له الإنسان في حياته الدنيا هو جعل ما على الأرض زينة لها ثم اختبار الإنسان في موقفه من هذه الزينة : هل يلتزم فيها بعبادة اللَّه أي يقف باستمتاعه بها عند ما أحل اللَّه أم يعبد الشيطان فيتجاوز حدود اللَّه ؟ ومن ثم تصبح عبادة اللَّه هي المطلب وهي غاية الوجود الإنساني ولا شيء سواها[1] اهـ .

* * *

المسألة السادسة والعشرون

كيف يمكن الجمع بين قول تعالى: ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقًا على المتقين﴾[2]، وقول الرسول ﷺ : «إن اللَّه قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث»[3] ؟.

ففي الآية : وصية للوالدين وهم ورثة ، وفي الحديث : لا وصية لوارث ، وقبل الإجابة على المسألة اقرأ معنا تفسير الآية عند ابن كثير في «تفسيره» يقول ابن كثير[4] : اشتملت هذه الآية الكريمة على الأمر بالوصية للوالدين والأقربين وقد كان ذلك واجبًا على أصح القولين قبل نزول آية المواريث ، فلما نزلت آية الفرائض نسخت هذه وصارت المواريث المقدرة فريضة من اللَّه يأخذها أهلوها حتمًا من غير وصية ولا تحمل مِنَّة الموصى ، ولهذا جاء في الحديث الذي في السنن وغيرها عن عمرو بن خارجة قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يخطب وهو يقول : «**إن اللَّه قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث**» ، وقال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ابن علية عن يونس بن عبيد عن محمد بن سيرين قال : جلس ابن عباس فقرأ سورة البقرة حتى أتى هذه الآية : ﴿**إن ترك خيرًا الوصية**

---

(١) «مفاهيم ينبغي أن تصحح» لمحمد قطب صفحة ١٧٤ .

(٢) البقرة : ١٨٠ .

(٣) أبو داود والترمذي .

(٤) «التفسير» ١/ ٢١٢ ، ٢١٣ .

للوالدين والأقربين ﴾ قال : كان لا يرث مع الوالدين غيرهما إلا وصية للأقربين فأنزل الله آية الميراث فبيَّن ميراث الوالدين وأقر وصية الأقربين في ثلث مال الميت ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج بن محمد أخبرنا ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس في قوله : ﴿ **الوصية للوالدن والأقربين** ﴾ نسختها هذه الآية : ﴿ **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبًا مفروضًا** ﴾[1] .

ثم قال ابن أبي حاتم : وروي عن ابن عمر وأبي موسى وسعيد بن جبير ومحمد بن سيرين وعكرمة وزيد بن أسلم والربيع بن أنس وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان وطاوس وإبراهيم النخعي وشريح والضحاك والزهري : أن هذه الآية منسوخة ، نسختها آية الميراث ، والعجب من أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي رحمه الله كيف حكى في تفسيره الكبير عن أبي مسلم الأصفهاني أن هذه الآية غير منسوخة وإنما هي مفسرة بآية المواريث ومعناه كتب عليكم ما أوصى الله به من توريث الوالدين والأقربين من قوله : ﴿ **يوصيكم الله في أولادكم** ﴾ قال : وهو قول أكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء قال : ومنهم من قال : إنها منسوخة فيمن يرث ، ثابتة فيمن لا يرث ، وهو مذهب ابن عباس والحسن ومسروق وطاوس والضحاك ومسلم بن يسار والعلاء بن زياد .

(قلت) : وبه قال أيضًا سعيد بن جبير والربيع بن أنس وقتادة ومقاتل بن حيان ولكن على قول هؤلاء لا يسمى هذا نسخًا في اصطلاحنا المتأخر لأن آية المواريث إنما رفعت حكم بعض أفراد ما دل عليه عموم آية الوصاية لأن الأقربين أعم ممن يرث وممن لا يرث فرفع حكم من يرث بما عين له وبقي الآخر على ما دلت عليه الآية الأولى وهذا إنما يتأتى على قول بعضهم : إن الوصاية في ابتداء الإسلام إنما كانت ندبًا حتى نسخت .

فأما من يقول : إنها واجبة وهو الظاهر من سياق الآية فيتعين أن تكون منسوخة بآية الميراث كما قاله أكثر المفسرين والمعتبرين من الفقهاء ، فإن وجوب الوصية للوالدين والأقربين الوارثين منسوخ بالإجماع ، بل منهي عنه للحديث المتقدم : « **إن الله قد أعطى**

---

(١) النساء : ٧ .

كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث»، فآية الميراث حكم مستقل ووجوب من عند اللَّه لأهل الفروض والعصبات رفع بها حكم هذه الكلية، بقي الأقارب الذين لا ميراث لهم يستحب له أن يوصي لهم من الثلث استئناسًا بآية الوصية وشمولها ولما ثبت في «الصحيحين» عن ابن عمر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده**» قال ابن عمر: ما مرت عليَّ ليلة منذ سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول ذلك إلا وعندي وصيتي.

وبعد أن قرأنا رأي ابن كثير في هذه الآية تعال معنا للجمع بين الآية والحديث، يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي في كتابه «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» ١/ ٢١٨: واعلم أن جمهور المفسرين يرون بأن هذه الآية منسوخة بآية المواريث، وبعضهم يرى أنها في الوالدين والأقربين غير الوارثين، مع أنه لم يدل على التخصيص بذلك دليل، والحسن في هذا أنْ يقال: إن هذه الوصية للوالدين والأقربين مجملة، ردها اللَّه تعالى إلى العرف الجاري، ثم إن اللَّه تعالى قدر للوالدين الوارثين وغيرهما من الأقارب الوارثين هذا المعروف في آيات المواريث بعد أن جاء مجملًا وبقي الحكم فيمن لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الإرث وغيرهما ممن حجب بشخص أو وصف، فإن الإنسان مأمور بالوصية لهؤلاء وهم أحق الناس ببرهِ، وهذا تتفق عليه الأمة ويحصل به الجمع بين القولين المتقدمين لأن كلًّا من القائلين بهما كل منهم لحظ ملحظًا واختلف المورد فبهذا الجمع يحصل الاتفاق والجمع بين الآيات، فإن أمكن الجمع كان أحسن من ادعاء النسخ الذي لم يدل عليه دليل صحيح. وقد ذكر نحو هذا الجمع ابن حجر العسقلاني في كتابه «الفتح» باب (لا وصية لوارث) ٦/ ٢٣.

* * *

المسألة السابعة والعشرون

قال رسول اللَّه ﷺ: «إن صوم يوم عرفة يكفر سنتين، وصوم عاشوراء يكفر سنة»[1]

(١) رواه أحمد ومسلم وأبو داود.

قالوا : فإذا كان دأبه دائمًا أنه يصوم يوم عرفة فصامه وصام يوم عاشوراء فكيف يقع تكفير ثلاث سنين كل سنة ؟ .

يقول ابن قيم رحمه اللّٰه تعالى : قال رسول اللّٰه ﷺ : « **إن العبد ليصلي الصلاة وما كتب له إلا نصفها إلا ثلثاها إلا ربعها إلا خمسها حتى بلغ عشرها** »[1] .

إن الصلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت لا روح فيه أفلا يستحي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبدًا ميتًا أو جارية ميتة ؟ فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية مما قصده بها من ملك أو أمير أو غيره ؟ وهكذا سواء الصلاة الخالية من الخشوع والحضور وجمع الهمة على اللّٰه تعالى فيها بمنزلة هذا العبد - أو الأمة - الميت الذي يريد إهداءه إلى بعض الملوك ، ولهذا لا يقبلها اللّٰه تعالى منه وإن أسقطت الغرض في أحكام الدنيا ولا يثيبه عليها فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها كما في الحديث الذي سبق ذكره .

عزيزي القارئ الكريم : يجب أن تعلم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرى ، فتفاضل الأعمال عند اللّٰه تعالى بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص والمحبة وتوابعها ، وهذا العمل الكامل هو الذي يكفر (الذنوب) تكفيرًا كاملًا ، والناقص بحسبه ، وبهاتين القاعدتين تزول إشكالات كثيرة أعني تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان ، وتكفير العمل للسيئات بحسب كماله ونقصانه ، وبهذا يزول الإشكال الذي يورده من نقص حظه ، من هذا الباب على الحديث الذي فيه : « **إن صوم يوم عرفة يكفر سنتين ، ويوم عاشوراء يكفر سنة** »[2] قالوا : فإذا كان دأبه دائمًا أنه يصوم يوم عرفة فصامه وصام يوم عاشوراء ، فكيف يقع تكفير ثلاث سنين كل سنة ؟ وأجاب بعضهم عن هذا بأن ما فضل عن التكفير ينال به الدرجات ، وياللّٰه العجب فليت العبد إذا أتى بهذه المكفرات كلها أن تكفر عنه سيئات باجتماع بعضها إلى بعض ، والتكفير بهذه مشروط بشروط ، وموقوف على انتفاء موانع في العمل وخارجه ، فإن علم العبد أنه جاء بالشروط كلها وانتفت عنه الموانع كلها ، فحينئذ يقع التكفير ، وأما عمل شملته الغفلة أو لأكثره ، وفقد

---

(١) « الوابل الصيب من الكلم الطيب » صفحة ١٥ .

(٢) رواه أحمد وغيره .

الإخلاص الذي هو روحه، ولم يعرف حقه، ولم يقدره حق قدره فأي شيء يكفر هذا؟ فإن وثق العبد من عمله بأنه وفاه حقه الذي ينبغي له ظاهرًا وباطنًا، ولم يعرض له مانع يمنع تكفيره ولا مبطل يحبطه - من عجب أو رؤية نفسه فيه أو بَمَنٍّ به أو يطلب من العباد تعظيمه به أو يستشرف بقلبه لمن يعظمه عليه أو يعادي من لا يعظمه عليه، ويرى أنه قد بخسه حقه وأنه قد استهان بحرمته - فهذا أي شيء يكفر؟! ومحبطات الأعمال ومفسداتها أكثر من أن تحصر وليس الشأن في العمل إنما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه.

* * *

المسألة الثامنة والعشرون

كيف يتم الجمع بين حديث وائل بن حجر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقدم ركبتيه في السجود قبل يديه، وبين حديث أبي هريرة عندما قال النبي ﷺ: «إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير، وليضع يديه قبل ركبتيه»؟.

الجواب: قولي في ذلك أنه ليس بينهما تعارض وأن معناهما متفق، فحديث وائل بن حجر أن النبي ﷺ كان يضع ركبتيه قبل يديه[1] يوافق حديث أبي هريرة تمامًا لأن حديث أبي هريرة يقول: «**إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير**»[2] والبعير إذا برك يقدم يديه كما يعرفه من شاهده فكان مطابقًا تمامًا لحديث وائل بن حجر، إن الرسول نهى في حديث أبي هريرة أن يضع يديه قبل ركبته لأنه إذا فعل ذلك صار كالبعير، وقد توهم بعض الناس قال: إن ركبتي البعير في يديه وصدق فإن ركبتي البعير في يديه، ولكن النبي ﷺ لم يقل: فلا يبرك على ما يبرك عليه البعير، بل قال: فلا يبرك كما يبرك البعير فإنه في الحقيقة نهى عن الهيئة والصفة وكل من شاهد البعير عند بروكه يجد أنه يقدم يديه أولًا وبذلك يتطابق حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - مع حديث وائل بن حجر ويبقى النظر

---

(١) حديث وائل بن حجر أخرجه الترمذي رقم (٢٦٨) كتاب الصلاة، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وأبو داود رقم (٨٣٨، ٨٣٩) كتاب الصلاة.

(٢) أخرجه أبو داود رقم (٨٤٠) كتاب الصلاة، والنسائي رقم (١٠٩١) كتاب التطبيق.

في قوله في آخر الحديث : « **وليضع يديه قبل ركبتيه** »[1] فإن هذا لا شك وهم من الراوي وانقلاب عليه إذ إنه لا يتطابق مع أول الحديث وأول الحديث هو العمدة وهو الأساس وآخره فرع عليه ، وإذا كان فرعًا عليه وجب أن يكون الفرع مطابقًا للأصل وحينئذ لا يطابق الأصل إلا إذا كان لفظه وليضع ركبتيه قبل يديه[2] .

* * *

المسألة التاسعة والعشرون

كيف يمكن الجمع بين قوله تعالى : ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾[3] ، وما ثبت في « الصحيحين » عن أبي هريرة قال : استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود ، فقال اليهودي في قسم يقسمه : لا والذي اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي فقال : أي خبيث . وعلى محمد ﷺ ؟ فجاء اليهودي إلى النبي ﷺ فاشتكى المسلم ، فقال رسول الله ﷺ : « لا تفضلوني على الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشًا بقائمة العرش ، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور ، فلا تفضلوني على الأنبياء » ، وفي رواية : « لا تفضلوا بين الأنبياء » ؟.

فالجواب من وجوه : أحدها : أن هذا كان قبل أن يعلم بالتفضيل وفي هذا نظر .

الثاني : أن هذا قاله من باب الهضم والتواضع .

الثالث : أن هذا نهي عن التفضيل في مثل هذا الحال التي تحاكموا فيها عند التخاصم والتشاجر .

الرابع : لا تفضلوا بمجرد الآراء والعصبية .

---

(١) هو الحديث السابق ، انظر تخريجه .

(٢) لقاء الباب المفتوح مع فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين إعداد الدكتور عبد الله بن محمد الطيار ص١١ ، ١٢ .

(٣) سورة البقرة : ٢٥٣ .

الخامس : ليس مقام التفضيل إليكم وإنما هو إلى اللّه عز وجل ، وعليكم الانقياد والتسليم له والإيمان به [1] .

* * *

المسألة الثلاثون

كيف يمكن الجمع بين حديث بسرة بنت صفوان من أن النبي ﷺ قال : «من مس ذكره فليتوضأ» [2] ، وحديث طلق بن علي أنه سأل النبي ﷺ عن الرجل يمس ذكره في الصلاة أعليه وضوء؟ فقال النبي ﷺ : «إنما هو بضعة منك» [3] ؟ .

واختلف العلماء رحمهم اللّه في مس الذكر والقبل هل ينقض أم لا ؟

القول الأول : أنه ينقض الوضوء واستدلوا بما يلي :

١- حديث بسرة بنت صفوان أن النبي ﷺ قال: « **من مس ذكره فليتوضأ** » .

٢- حديث أبي هريرة رضي اللّه عنه : « **إذا أفضى أحدكم بيده إلى ذكره ليس دونها ستر فقد وجب الوضوء** » وفي رواية : « **إلى فرجه** » [4] .

٣- إن الإنسان قد يحصل منه تحرك شهوة عند مس الذكر ، أو القبل فيخرج منه شيء وهو لا يشعر ، فما كان مظنة الحدث علق الحكم به كالنوم .

القول الثاني : أن مس الذكر لا ينقض الوضوء : واستدلوا بما يلي :

١- حديث طلق بن عليّ أنه سأل النبي ﷺ عن الرجل يمس ذكره في الصلاة أعليه وضوء؟ فقال النبي ﷺ : « **إنما هو بضعة منك** » .

٢- أن الأصل بقاء الطهارة وعدم النقض ، فلا نخرج عن هذا الأصل إلا بدليل متيقن . وإذا كان فيه احتمال ، فالأصل بقاء الوضوء قال ﷺ : « **لا ينصرف حتى يسمع صوتًا أو يجد**

---

(١) « تفسير ابن كثير » الجزء الأول صفحة ٣٠٥ .

(٢) أخرجه أحمد ٦/ ٤٠٦ وغيره .

(٣) رواه أحمد ٤/ ٢٢ وغيره .

(٤) أخرجه أحمد ٢/ ٣٣٣ وغيره .

ريحًا»[1] فإذا كان هذا في السبب الموجب حسًّا، فكذلك السبب الموجب شرعًا، فلا يمكن أن نلتفت إليه حتى يكون يقينًا معلومًا.

فيرجح حديث طلق بن علي على حديث بسرة لأن حديث بسرة ضعيف لا ينتقض الوضوء مطلقًا بالمس سواء كان بالشهوة، أو بغير شهوة.

القول الثالث: أنه يجمع بين حديث بسرة، وحديث طلق بن علي لأنه إذا أمكن الجمع وجب المصير إليه قبل الترجيح والنسخ لأن فيه إعمال الدليلين وترجيح أحدهما إلغاء للآخر، والجمع:

أ- أن يحمل حديث بسرة وما شابهه على ما إذا كان لشهوة وحديث طلق على ما إذا كان لغير شهوة.

قالوا: وقوله ﷺ: «**إنما هو بضعة منك**» يدل على هذا الحمل لأنك إذا مسست ذكرك بدون تحرك شهوة صار كأنما تمس سائر أعضائك، وحينئذ لا ينتقض الوضوء، وإذا مسسته لشهوة فإنه ينقض لأن العلة موجودة، وهي احتمال خروج شيء ناقض من غير شعور منك، فإذا مسه لشهوة وجب الوضوء، ولغير شهوة لا يجب الوضوء.

قالوا وهم يحاجون الحنابلة: لنا عليكم أصل وهو أنكم قلتم: إن مس المرأة لغير شهوة لا ينقض ومسها لشهوة ينقض لأنه مظنة الحدث.

ب- أو يجمع أن الأمر بحديث بسرة للاستحباب وحديث طلق السؤال فيه للوجوب، فهو سأل عن الواجب أعليه؟ وكلمة (على) ظاهرة في الوجوب.

وعلى هذا إذا مسه لغير شهوة فالوضوء مستحب لعموم حديث بسرة، إذا كان لشهوة فإنه يجب الوضوء أخذًا بالتعليل: «**إنما هو بضعة منك**» والمسألة فيها احتمال أن يكون هذا هو القول الصواب.

القول الرابع: وهو اختيار شيخ الإسلام[2] أن الوضوء من مس الذكر مستحب مطلقًا

---

(١) أخرجه مسلم ١/ ٢٧٦ وغيره.

(٢) «مجموع الفتاوى» ٢٠/ ٣٦٧، ٥٢٤، ٢١/ ٢٢٢، ٢٣١.

ولو بشهوة.

وإذا قلنا: إنه مستحب، فمعناه أنه مشروع وفيه أجر واحتياط، وأما دعوى أن حديث طلق بن علي منسوخ لأنه قدم على النبي ﷺ وهو يبني مسجده أول الهجرة ولم يعد إليه بعد فهذا غير صحيح لما يلي:

١- أنه لا يصار إلى النسخ إلا إذا تعذر الجمع، والجمع هنا ممكن.

٢- أن في حديث طلق علة لا يمكن أن تزول، وإذا ربط الحكم بعلة لا يمكن أن تزول فإن الحكم لا يمكن أن يزول لأن الحكم يدور مع علته، والعلة هي قوله: «**إنما هو بضعة منك**» ولا يمكن في يوم من الأيام أن يكون ذكر الإنسان ليس بضعة منه، فلا يمكن النسخ.

٣- أن أهل العلم قالوا: إن التاريخ لا يعلم بتقدم إسلام الراوي، أو تقدم أخذه لجواز أن يكون الراوي حدث به عن غيره.

بمعنى أنه إذا روى صحابيان حديثين ظاهرهما التعارض، وكان أحدهما متأخرًا عن الآخر في الإسلام، فلا نقول: إن الذي تأخر إسلامه حديثه يكون ناسخًا لمن تقدم إسلامه، لجواز أن يكون رواه عن غيره من الصحابة، أو أن النبي ﷺ حدث به بعد ذلك.

والخلاصة: أن الإنسان إذا مس ذكره استحب له الوضوء مطلقًا سواء بشهوة أو بغير شهوة، وإذا مسه لشهوة فالقول بالوجوب قوي جدًّا، لكنه ليس بظاهر، بمعنى أني لا أجزم به، والاحتياط أن يتوضأ[1][2].

إن الجواب الجامع في مثل هذه المسائل هو أنه لا تعارض بين آية وآية ولا آية وحديث ولا حديث وحديث وإنما عليك كقارئ التسليم بما تقرأ من آية وحديث، التسليم بعد وقوفك على الآية هل هي منسوخة أم محكمة؟ فإن كانت منسوخة ذهب عنك الإشكال، وإن كانت محكمة تسلم بها تمام التسليم ثم تواصل البحث عنها حتى يمكنك الجمع وتزداد قناعة وإيمانًا، وكذلك الحديث إذا ثبت أنه صحيح تسلم به وتواصل البحث عنه في الجمع

---

(١) «مجموع الفتاوى» ٤/ ٢٠٣.

(٢) «الشرح الممتع على زاد المستقنع» للشيخ ابن عثيمين: ١/ ٢٣٠ - ٢٣٤.

بينه وبين ما اشتبه عليك فيه الأمر حتى يمكنك الجمع بينهما ؛ كان اللّه في عونك وسدد على طريق الخير خطاك وجمعنا وإياك على الخير والطاعات .

إلى هنا نصل بك عزيزي القارئ إلى النهاية وصلى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان .

* * *

المراجع والمصادر

١- « مجموع الفتاوى » لشيخ الإسلام ابن تيمية : ١/٣٠٥ - ٤/٢٠٣ - ٧/٢٢- ٢٧، ١٦٧، ٤٩٨ - ٥٠٠ - ٨/٤٤٩، ٤٥٢، ٤٥٩، ١٣٨ - ١٤٠- ١٤/٢٢٢ - ٢٦١ بتصرف - ٢٠/٣٦٧، ٥٢٤ - ٢١/٢٢٢، ٢٣١ .

٢- « المجموع الثمين » للشيخ ابن عثيمين : ١/١٤٥، ١٥٢، ١٥٧، ١٦٥ - ٢/١٨٩، ١٩١، ١٩٢، ٢١١ .

٣- « أضواء البيان » لمحمد الأمين الشنقيطي : ٢/٢١٠ - ٤/٩٢ - ٧/١١٩، ١٢٠ .

٤- « التفسير » لابن كثير : ٢/١٧٥ - ٣/٨٢ - ٤/٩٣، ٩٤ ، ٢٥٩ .

٥- « جامع الأصول » لابن الأثير : ١/٣٠٧ ، ٣٠٨ - ٤/٦٨٠ - ١٠/٦٩، ١٠٤، ٦١٤ .

٦- « فتح الباري في شرح صحيح البخاري » لابن حجر العسقلاني : ١١/٢٥٣- ٦/٢٣ .

٧- « كتاب الروح » لابن قيم الجوزية : صفحة ١١ - ٢١٧ بتصرف .

٨- « شرح لمعة الاعتقاد » للشيخ ابن عثيمين : صفحة ٣٨ .

٩- « الوابل الصيب من الكلم الطيب » لابن قيم الجوزية : صفحة ١٣٤ .

١٠- « في ظلال القرآن » لسيد قطب : ٣/١٢٠٤ .

١١- « فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء » ، جمع أحمد بن عبد الرزاق الدويش : ٤/١٦١ .

١٢- « مفاهيم ينبغي أن تصحح » لمحمد قطب : صفحة ١٧٤ .

١٣- « تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان » للشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي : ١/٢١٨ .

١٤- لقاء الباب المفتوح مع فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ، إعداد الدكتور عبد الله ابن محمد الطيار : صفحة ١١، ١٢ .

١٥- « الشرح الممتع على زاد المستقنع » للشيخ ابن عثيمين : ١/٢٣٠- ٢٣٤ .

١٦- « الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي » لابن قيم الجوزية : صفحة ٢٦ .
١٧- « معجم مختار الصحاح » لمحمد بن أبي بكر الرازي : صفحة ٥٠٨ .
١٨- « القاموس المحيط » للفيروزآبادي : صفحة ٥٩١ .
١٩- « عقيدة السفاريني » : ٤٨/١ .
٢٠- « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير الجزء الرابع .
٢١- « تعريف عام بدين الإسلام » للشيخ الطنطاوي .
٢٢- « الفوائد » لابن قيم الجوزية .
٢٣- « أفعال الإنسان بين الجبر والاختيار » لعبد اللّه علوان : صفحة ١٧- ١٩ .
٢٤- « شرح صحيح مسلم » للنووي : ٩٠/٢، ٩١ .
٢٥- « الصمت في حفظ اللسان » للحافظ أبي بكر عبد اللّه بن محمد بن أبي الدنيا : صفحة ٣٩ .
٢٦- « كتاب القضاء والقدر » للدكتور عمر سليمان الأشقر : صفحة ٢٧، ٢٨ .

* * *

فهرس الموضوعات

الفهـرس

المقدمة ٣

المسألة الأولى: الجمع بين حديث جبريل الذي فسر فيه النبي ﷺ الإسلام بأن: «تشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وتقيم الصلاة ..» إلخ، وحديث وفد عبد القيس الذي فسر فيه النبي ﷺ الإيمان بأن: «تشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وتقيم الصلاة ..» إلخ ٥

المسألة الثانية: هل القدر هو القضاء أم القضاء هو القدر أم بينهما فرق؟ ٩

المسألة الثالثة: الجمع بين قوله ﷺ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء»، وقوله ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا - إلى أن يقول - .. فيؤمر بأربع كلمات فيقال اكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد» ١٦

المسألة الرابعة: الكفر والنفاق هل هما شيء واحد أم بينهما فرق؟ ٢١

المسألة الخامسة: المسكين والفقير هل هما شيء واحد أم بينما فرق؟ ٢٣

المسألة السادسة: الجمع بين قوله: «إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ..»، وقوله تعالى: ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً﴾ ٢٤

المسألة السابعة: الجمع بين قوله تعالى: ﴿قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ إلى أن قال: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان ..﴾، وقوله تعالى: ﴿أأنتم أشد خلقًا أم السماء بناها﴾ ثم قال: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ ٢٦

المسألة الثامنة: الجمع بين قوله تعالى: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾، وقوله تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن اللّه يهدي من يشاء﴾ ٢٨

المسألة التاسعة: الجمع بين قول الرسول ﷺ: «من نوقش الحساب عذب» وقول الرسول ﷺ: «إن اللّه يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم، أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته» ٣٠

المسألة العاشرة: الجمع بين قول الرسول ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب

بعضكم رقاب بعض»، وقوله تعالى: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ إلى قوله: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ ٣١
المسألة الحادية عشرة: الجمع بين قول الرسول ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة»، وقوله ﷺ: «فر من المجنوم فرارك من الأسد» ٣٥
المسألة الثانية عشرة: الجمع بين قوله تعالى: ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾، وقول الرسول ﷺ: «لن يدخل أحدًا منكم عمله الجنة»، قالوا: ولا أنت؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة» ٣٨
المسألة الثالثة عشرة: الجمع بين قول الرسول ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر»، وبرواية أخرى التي يقول فيها ﷺ: «لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان» ٤١
المسألة الرابعة عشرة: الجمع بين قول الرسول ﷺ: «إن البذاذة من الإيمان»، وقوله ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال» ٤٢
المسألة الخامسة عشرة: الجمع بين قوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾، وبين النصوص الدالة على إنتفاع الميت بما يعمل له مثل: عن عائشة عن أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «ما من ميت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة كلهم يشفعون إلا شفعوا فيه» ٤٤
المسألة السادسة عشرة: النفس والروح هل هما شيء واحد أم شيئان متغايران؟ ٤٨
المسألة السابعة عشرة: الجمع بين قوله تعالى: ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾، وقوله تعالى: ﴿وأما من أوتي كتابه وراء ظهره﴾ ٥٣
المسألة الثامنة عشرة: الجمع بين قوله تعالى: ﴿فمن يرد الله أن يهديه﴾، وقوله تعالى: ﴿فمن شاء فليؤمن﴾ ٥٣
المسألة التاسعة عشرة: الجمع بين قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾، وقوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرًا لأنفسكم، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ ٥٦
المسألة العشرون: التوفيق بين الآيات التالية: قوله تعالى: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ وردت اليد هنا مفردة، وقوله تعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ وردت مثناة، وقوله تعالى: ﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا﴾ وردت جمعًا ٥٦

المسألة الحادية والعشرون: الجمع بين قول الرسول ﷺ: «أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك»، وقوله ﷺ في الحديث الصحيح بأن: «لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة» ٥٧

المسألة الثانية والعشرون: الجمع بين قوله: بأن الذي يوزن العمل، والحديث الشريف: «والله إنهما لأثقل في الميزان من جبل أحد» ٥٨

المسألة الثالثة والعشرون: الجمع بين قوله تعالى: ﴿وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك، قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثًا﴾، وقوله تعالى: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك﴾ ٥٩

المسألة الرابعة والعشرون: التوفيق بين قوله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله»، وقوله ﷺ: «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تكفر اللسان تقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك فإنك إن استقمت استقمنا وإذا اعوججت اعوججنا» ٦١

المسألة الخامسة والعشرون: الجمع بين قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾، وقوله تعالى في الآيات التالية: ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه﴾ و﴿خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ و﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾ ٦٢

المسألة السادسة والعشرون: الجمع بين قوله تعالى: ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرًا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقًا على المتقين﴾، وقول الرسول ﷺ: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث» ٦٣

المسألة السابعة والعشرون: قال رسول الله ﷺ: «إن صوم يوم عرفة يكفر سنتين وصوم عاشوراء يكفر سنة» قالوا: فإذا كان دأبه أنه يصوم يوم عرفة فصامه وصام يوم عاشوراء فكيف يقع تكفير ثلاث سنين كل سنة؟ ٦٥

المسألة الثامنة والعشرون: الجمع بن حديث وائل بن حجر رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقدم ركبتيه في السجود قبل يديه، وبين حديث أبي هريرة عندما قال النبي ﷺ: «إذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير، وليضع يديه قبل ركبتيه» ٦٧

المسألة التاسعة والعشرون: الجمع بين قوله تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾، وما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال اليهودي في قسم يقسمه: لا والذي اصطفي موسى على العالمين فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي فقال: أي خبيث. وعلى محمد ﷺ؟ فجاء اليهودي إلى النبي ﷺ فاشتكى المسلم فقال رسول الله ﷺ: «لا تفضلوني على الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فأجد موسى باطشًا بقائمة العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور؟ فلا تفضلوني على الأنبياء» ٦٨
المسألة الثلاثون: الجمع بين حديث بسرة بنت صفوان من أن النبي ﷺ قال: «من مس ذكره فليتوضأ»، وحديث طلق بن علي أنه سأل النبي ﷺ عن الرجل يمس ذكره في الصلاة أعليه وضوء؟ فقال النبي ﷺ: «إنما هو بضعة منك» ٦٩
المراجع والمصادر ٧٣
الفهرس ٧٧

* * *